مصطلح مبتكرات القرآن

عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور

من خلال تفسيره التحرير والتنوير

« دراسة تحليلية »

إعداد

الدكتور/ محمد فوزي إبراهيم سعد نصير

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله على جزيل فضله، وعظيم إنعامه، لك الحمد يا رب عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، سبحانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين ، وحامل لواء الحمد يوم الدين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد..

فإن القرآن كتاب بحره عميق، وفهمه دقيق، يحوي من الكنوز والدرر ما لا ينضب ؛ ومن ثَمَّ انبرى علماء الإسلام في شتى الأقطار وعلى مر العصور لاستخراج هذه الكنوز، واستنباط تلك الدرر، فعكفوا على كتاب الله – تعالى – ينهلون من معينه، ويرتشفون من سلسبيله العذب، من هؤلاء العلماء الأفذاذ: الإمام العلامة محمد الطاهر ابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، فقد ذكر في تفسيره " التحرير والتنوير " ما سبق إليه القرآن من خصائص وأساليب وتراكيب ومعان وألفاظ لم تكن معهودة عند العرب قبل نزول القرآن، وهو ما سمّاه " مبتكرات القرآن " – موضوع البحث–.

ومما دفعني إلى خوض غمار هذا البحث أني رأيت أثناء قراءتي في تفسير التحرير والتنوير أن العلامة الطاهر ابن عاشور قد أفرد مبحثًا مستقلاً في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره عن "مبتكرات القرآن"، كما رأيت تكراره لهذا المصطلح – مبتكرات القرآن – كثيرًا في ثنايا تفسيره؛ فعزمت على دراسة هذا المصطلح، وأن أرمي فيه بسهمي، وأدلو فيه بدلوي، عسى أن يروي لي غليلاً، ويكتب لي به عند ربي أجرًا جزيلاً.

ومبتكرات القرآن وجه من وجوه الإبداع في استعمال اللغة وأساليبهـــا،

والتفنّن في النظم والتعبير على نحو لم يسبق إليه العرب، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فعلى الرغم من أن القرآن قد نزل بلغة العرب ووفق سننهم في الكلام، إلا أنه ابتكر أشكالاً للنظم، وأساليب، وتعبيرات، لم تكن معروفة عند العرب قبل نزوله.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلامة الطاهر ابن عاشور هو أول من ابتكر مصطلح "مبتكرات القرآن"، لكن لم يكن هدفه من إيراد هذا المصطلح الاستقراء التام له، فهذا أمر متعذر، لا سيّما وأن طبيعة الحكم بالابتكار القرآني تتطلب الإلمام بالتراث الشعري والنثري للعرب قبل القرآن، ووقت نزوله، وليس هذا بمقدور أحد من البشر، وإنما فتح – رحمه الله – الباب لمن جاء بعده للنظر في المبتكرات القرآنية والتأمّل فيها ؛ ومن ثَمَّ التزم – رحمه الله – في الغالب – كلمات وعبارات تفيد الظن والاحتمال أثناء إيراده لمصطلح " مبتكرات القرآن ".

ويعتبر هذا البحث محاولة جادة في استجلاء هذا المصطلح بأبعاده المختلفة، من توضيح مفهومه عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وبيان صوره ووجوهه عنده، وتحديد معاييره، وطريقته – رحمه الله – في إيراده.

ولما كانت المبتكرات القرآنية بهذه المثابة أحببت أن أرشف من هذا الفضل رشفة حسب وسعي وطاقتي لعلي أفوز بذلك عند ربي، فجاء موضوع البحث: مصطلح "مبتكرات القرآن" عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير دراسة تحليلية.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

١ – الرغبة الشديدة في الإسهام في خدمة كتاب الله – تعالى – ولو بهذا الجهد المتواضع من خلال هذا الموضوع.

٢ – تحرير مصطلح " مبتكرات القرآن " عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وإبراز معايير الابتكار عنده، ومكانته من الإعجاز وقيمته البيانية.

٣ – إبراز وجوه الابتكار وصوره عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وتوضيح العلاقة بينه وبين غيره من الأساليب التي وردت بمفهومه.

٤ – محدودية الدراسة في هذا الموضوع ؛ الأمر الذي شجّعني على دراسة هذا المصطلح.

٥ – إبراز مظهر من مظاهر الإبداع القرآني في استعمال اللغة وأساليبها، والتفنّن في النظم والتعبير على نحو فاق قدرة العرب، فلم يستطيعوا مجاراته، فضلاً عن الإتيان بمثله.

لهذه الأسباب وغيرها عزمت على دراسة هذا الموضوع فأقبلت – بفضل الله وعونه – على هذا العمل بكل جد واجتهاد.

الهدف من البحث

إبراز الصورة الكاملة لمصطلح " مبتكرات القرآن " عند العلامة الطاهر ابن عاشور، من توضيح مفهومه عنده، وتحديد معاييره، وبيان وجوهه وصوره، وطريقته – رحمه الله– في إيراده.

منهج البحث

اقتضى هذا البحث الاعتماد على أكثر من منهج من مناهج البحث العلمي، ويمكنني إجمالها فيما يلي:

١ – المنهج الاستقرائي: المتمثل في تتبع مواضع ورود مصطلح " مبتكرات القرآن " في تفسير التحرير والتنوير.

٢ – المنهج الوصفي: المتمثل في تقديم صورة جلية عن مصطلح " مبتكرات القرآن "، وتوضيح مفهومه عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وبيان صوره عنده، وتحديد معاييره، وطريقته – رحمه الله – في إيراده.

٣ – المنهج التحليلي: المتمثل في تحليل ومناقشة قضايا مصطلح " مبتكرات القرآن".

خطوات عملي في البحث

أما عن طبيعة عملي في هذا البحث فقد تمثلت في عدة خطوات أجملها فيما يلي:

أولاً: قمت بتتبع المواضع التي ورد فيها مصطلح " مبتكرات القرآن " في تفسير التحرير والتنوير.

ثانيًا: تناولت قضايا المصطلح بالدراسة والتحليل والمناقشة.

ثالثًا: عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها.

رابعًا: بيّنت معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث، مستعينًا في ذلك بكتب اللغة، وعلوم القرآن.

خامسًا: ترجمت للأعلام الواردة في البحث عدا المشهور منها.

سادسًا: عزوت الأبيات الشعرية الواردة في البحث إلى مظانّها، ونَسَبْتها إلى قائليها.

خطة البحـــث

اقتضت طبيعة بحث هذا الموضوع أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وبيانها كالتالي:

المقدمة: وقد اشتملت على ما يلي:

١ – أهمية الموضوع. ٢ – أسباب اختياري له.

٣ – الهدف من البحث. ٤ – منهج البحث.

٥ – خطة البحث.

التمهيد : وقد اشتمل على ما يلي:

أولاً : مدلول المصطلح وبيان شروطه.

ثانيًا : التعريف بالعلامة محمد الطاهر ابن عاشور وبتفسيره بإيجاز.

المبحث الأول : المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الابتكار.

المبحث الثاني : العلاقة بين مصطلح الابتكار وبين بعض المصطلحات التي وردت

بمفهومه.

المبحث الثالث: مفهوم مصطلح "مبتكرات القرآن" عند العلامة الطاهر ابن عاشور.

المبحث الرابع: وجوه الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور.

المبحث الخامس: معايير الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور.

المبحث السادس: طريقة العلامة الطاهر ابن عاشور في إيراد مصطلح "مبتكرات القرآن".

الخاتمة : – أسأل الله حسنها– وقد تضمّنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبعض التوصيات المقترحة ، ثم ذيّلت البحث بالمراجع العلمية ، وفهرس عام للموضوعات .

وفي الختام : لا يسعني إلا أن أشكر الله على توفيقه إياي في إتمام هذا البحث، فإن أصبت فيما قدّمت فتوفيق من الله أكرمني به، وإن أخفقت في بعض المسائل فهذا شأني كإنسان، وغاية ما أتمنّاه رضا الله – عز وجل –، وتجاوزه عن ذنوبي.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يعفو عن زلاتي فيه، وأن ينفع به كل من اطّلع عليه، إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول ، وهو حسبي وعوني ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيـــد

ويشتمل على:

أولاً: مدلول المصطلح، وبيان شروطه:

يحسن بنا قبل الشروع في تناول مصطلح " مبتكرات القرآن " بالبحث والدراسة أن أسلط الضوء على المدلول اللغوي والاصطلاحي للفظ " المصطلح "؛ ليكون لنا من تعريفه عون على فهم طبيعة الدراسة المصطلحية، وأبدأ أولاً بالمدلول اللغوي للفظ "المصطلح".

أ – المدلول اللغوي للفظ « المصطلح » :

" المصطلح" مشتق من الفعل "اصطلح"، وجذره الثلاثي "صلح"، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية وجدت أن مادة " صلح " تدور في اللغة العربية حول عدة معان منها:

١ – الاتفاق – وهذا المعنى أنسب بموضوع البحث – : يقال : " تصالح القوم واصطلحوا: اتفقوا على صلح"[(١)].

٢ – نقيض الفساد: جاء في معجم مقاييس اللغة: " صَلَح " الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد [(٢)].

مما سبق بيانه يتضح أن لفظ " المصطلح " عند اللغويين يعني: الاتفاق والمصالحة على أمر معين، وهذا المعنى قريب من المعنى الاصطلاحي الذي نتعرف عليه في الفقرة التالية.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: للإمام / أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٤ / ١٤٣) مادة (صلح)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

(٢) معجم مقاييس اللغة: للإمام / أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣ / ٣٠٣)، مادة (صلح)، تحقيق وضبط: د/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر – دمشق – ط سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ب – المدلول الاصطلاحي:

عرّف المصطلح في الاصطلاح بتعاريف متعددة منها:

١ – إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما [١]، وهذا المعنى هو المتوافق مع موضوع البحث " مصطلح مبتكرات القرآن عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ".

٢ – إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد [٢]، ففي التعريف الأول جاء التعبير بكلمة " اللفظ "، وفي التعريف الثاني جاء التعبير بكلمة " الشيء ".

٣ – اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول [٣].

٤ – اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى [٤].

٥ – لفظ معين بين قوم معينين " [٥].

يلحظ على التعريفين الأوّلين للمصطلح أنهما يدوران حول معنى واحد هو: إخراج اللفظ من معناه اللغوي إلى معنى آخر، أما باقي التعريفات فيلحظ عليها أنها تدور حول معنى آخر هو: اتفاق طائفة على وضع لفظ معين لمعنى.

---

(١) التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني: ص ٢٨، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ويراجع: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للعلامة / محمد بن علي ابن القاضي التهانوي: ص ٢٨، تقديم وإشراف ومراجعة: د / رفيق العجم، تحقيق: د /علي دحروج، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

(٢) التعريفات : ص ٢٨ ، ويراجع: كشاف اصطلاحات الفنون: ص ٢٩ ، والكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): للإمام/ أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: ص ١٢٩، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه : د / عدنان درويش ، ومحمد المصري ، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٣) التعريفات: ص ٢٨، ويراجع: الكليات: ص ٢٩.

(٤) التعريفات: ص ٢٨، ويراجع: كشاف اصطلاحات الفنون: ص٢٨.

(٥) التعريفات: ص ٢٨.

ويمكن الجمع بين هذه التعريفات بأن يقال: المصطلح/ اللفظ الموضوع من طائفة مخصوصة بإزاء معنى مخصوص، بينه وبين المعنى اللغوي مناسبة [١]، أما الدراسة المصطلحية فهي عبارة عن بحث في المصطلح وواقعه الدلالي، من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له، وفروعه المنقولة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به[٢] ؛ومن ثَمَّ فدراسة مصطلح " مبتكرات القرآن عند العلامة الطاهر ابن عاشور " عبارة عن بحث في المصطلح من حيث توضيح مفهومه عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وبيان وجوهه عنده، وتحديد معاييره، وطريقته – رحمه الله – في إيراده.

ج – شروط وضع المصطلح:

١ – أن تقوم به طائفة من أهل فنّ أو علم أو صنعة معينة، فإن قام به فرد أو فردان – كما هو الحال في موضوع بحثنا، إذ إنّ واضع مصطلح " مبتكرات القرآن " هو العلامة الطاهر ابن عاشور – فلا يصير هذا مصطلح عَلَم، إنما يصير مصطلح شخص.

٢ – أن يخرج اللفظ عن معناه اللغوي إلى معنى جديد، فإن لم يخرج فليس بمصطلح.

٣ – على أن يكون ثمة مناسبة بين المعنى الجديد والمعنى اللغوي.

٤ – أن يشتهر ذلك المعنى ويظهر، بحيث ينصرف الذهن إليه عند إطلاق اللفظ عند أهل الفن، فإن لم يشتهر لم يؤد وظيفته التي من أجلها كانت عملية الاصطلاح، وهي أن يصل المعنى إلى ذهن السامع من أقرب طريق للاستغناء به عن الإطالة

---

(١) المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم: للأستاذ الدكتور / علي جمعة محمد عبد الوهاب: ص ٣٢، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي – القاهرة – الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: المصطلح القرآني " التدبر " أنموذجًا " دراسة مصطلحية ": للدكتورة / إيمان بو غانم، والدكتورة / فضيلة قراد: ص ٩، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي – كلية الآداب واللغات – جامعة العربي التبسي تبسة – الجزائر: ٢٠١٦ / ٢٠١٧م.

في الكلام، وعن الشرح المستفيض، وهذا الاشتهار هو ما يمكن أن نسميه القبول العام من أهل الفنّ [١].

جدير بالذكر أنّ هذه الشروط جميعها متوافرة في مصطلح " مبتكرات القرآن" عند الإمام الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – موضوع بحثنا –.

(١) المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم: ص ٣٥، ٣٦.

ثانيًا: التعريف بالعلامة محمد الطاهر ابن عاشور وبتفسيره بإيجاز [١]

ويشتمل على:

١ – ترجمة موجزة للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور: وتتضمن:

أ – اسمه ونســـبه:

هو الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي [٢]، الشهير بـــ الطاهر ابن عاشور.

ب – مولـــده :

ولد – رحمه الله – في جمادي الأولى عام ١٢٩٦هـــ الموافق سبتمبر ١٨٧٩م، في ضاحية المرسي – وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تبعد عشرين كيلو مترًا عن مدينة تونس – بقصر جده

---

(١) كثرت الكتابات والمؤلفات العلمية حول العلامة محمد الطاهر ابن عاشور وتفسيره " التحرير والتنوير"؛ الأمر الذي أغنى الباحث عنن التوسع في التعريف بهما، مكتفيًا بالإشارة إلى أهم جوانب حياته – رحمه الله –، وأهم ملامح تفسيره.

(٢) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: للأستاذ / محمد محفوظ (٣ / ٣٠٤) ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤م، وشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية: للشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة (١ / ١٥٤) ط: وارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر – ط سنة ١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م، وتونس وجامع الزيتونة: للإمام / محمد الخضر حسين ص١٥٤، ط: دار النوادر – سوريا – لبنان – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٣١هـــ / ٢٠١٠م، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: للأستاذ / عادل نويهض (٢ / ٥٤١)، ط: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م.

للأم الصدر الأعظم الوزير محمد العزيـــــز بُوعَتُّور[١] [٢].

ج – نشـــــأته:

نشأ الشيخ – رحمه الله – في رحاب العلم والجاه، فابتدأ بتعليم القرآن الكريم في سنّ السادسة، ثم حفظ بعض المتون العلمية [٣]، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م، ونهل من العلوم والمعارف ما استطاع [٤]، حتى حصل على شهادة التطويع سنة ١٣١٧هـ /١٨٩٩م، وهي شهادة تنتهي بها المرحلة الثانوية، وتخوّل لصاحبها حق التدريس في الدرجات الأولى من التعليم الزيتوني" [٥].

د – حياته العلمية:

كان العلامة محمد الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – من أعلام تونس، واشتهر بتدريسه في جامع الزيتونة، وقد انتخب عضوًا بلجنة الإصلاح التعليمي مرارًا، كما أصبح شيخ الجامع الأعظم بتونس سنة ١٩٤٢م ، وعضوًا بمجمع اللغة العربية بمصر

(١) الوزير محمد العزيز بُوعَتُّور / هو الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتّور الصفاقسي التونسي، ولد سنة ١٢٤٠هـ في تونس، وكان وزيرًا للمالية في عام ١٢٨٣هـ، من كبار الرجال الذين تولّوا الوزارة في تونس، فجمعوا بين العلم وجودة النظر في السياسة، توفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م. ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣ / ٣٥٥ – ٣٥٧)، والأعلام: لخير الدين الزركلي (٦ / ٢٦٨) ط: دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة السادسة: ١٩٨٤م.

(٢) من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (حياته وآثاره): للدكتور / بلقاسم الغالي: ص ٣٧، ط: دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٣) كمتن ابن عاشور، والرسالة، والقطر. ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) فقد درس علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق من جهة، وعلوم المقاصد كتفسير القرآن، والقراءات، والحديث من جهة ثانية. ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور (١ / ١٥٤).

(٥) تونس وجامع الزيتونة: ص ١٥٤.

سنة ١٩٥٠م، وكان يُشرف على تدريس كتب السنة خلال شهر رمضان بالمساجد الزيتونية، وخاصة بالجامع الأعظم، كما أصبح عضوًا في لجنة تنقيح برامج التعليم سنة ١٣٢٩هـ / ١٩٠٨م، ولم يكن غريبًا بعد نجاحه في التدريس وفي إصلاح التعليم أن يُعيَّن شيخًا لجامع الزيتونة وفروعه سنة١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، وأعيد إلى هذا المنصب بعد تركه له مرة أخرى عام ١٣٦٤هـ /١٩٤٤م، ثم عيّن عميدًا للجامعة الزيتونية عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م [١] ، وكان – رحمه الله – أحيانًا يجمع بين أكثر من منصب، كجمعه بين مشيخة الإسلام وبين عمادة الزيتونة [٢].

وفي هذا دلالة على ما كان يتمتع به – رحمه الله – من علم غزير، وثقافة عالية، وأفق واسع؛ الأمر الذي أدى إلى عظم الثقة به في جمعه بين هذه المناصب.

هـ – مذهبه العقدي والفقهي:

أما عن مذهبه العقدي فهو أشعري العقيدة [٣]، وقد صرّح بهذا المذهب في كثير من مواضع تفسيره [٤]، كما أنه يرجحه كثيرًا عند عرضه للمذاهب الكلامية في المسألة

---

(١) تراجم المؤلفين التونسيين (٣ / ٣٠٥).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) نسبة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري البصري، إمام المتكلمين، ولد سنة (٢٦٠هـ)، كان معتزليًا ثم رجع عن مذهب الاعتزال، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، من أهم مؤلفاته: كتاب " الموجز "، و" خلق الأعمال "، و" الصفات "، و" الرد على المجسّمة "، توفي سنة ٣٢٤ هـ. ينظر: تاريخ بغداد: للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٣ / ٢٦٠)، تحقيق: د / بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – بدون تاريخ، وسير أعلام النبلاء: للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي (١٥ / ٨٥ – ٩٠)، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٤) من الشواهد الدالة على هذا الأمر: ما ذكره – رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۗ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة سبأ الآية : =

الواحدة [١].

وأما عن مذهبه الفقهي فهو مالكي المذهب، " وقد تبحر في فروعه حتى أصبح قاضيًا مالكيًا للجماعة سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، وبقي كذلك عشر سنوات، ثم عيّن سنة ١٩٢٣م مفتيًا مالكيًا، وفي سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م أصبح كبير أهل الشورى المالكية، وهو أعلى منصب يتولاّه السادة المالكية قبل إحداث مشيخة الإسلام المالكية، وفي سنة١٣٥١هـ / ١٩٣٢م سمي شيخ الإسلام المالكي، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب، وقد أطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكية بصفة رسمية على الشيخ الطاهر ابن عاشور، وكان هو أول من لقب به "[٢][٣].

= ٢٤] قال : " ووصف الضلال بالمبين دون وصف الهدى بالمبين ؛ لأن حقيقة الهدى مقول عليها بالتواطؤ، وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته، وإنما زيادته بكثرة الطاعات. التحرير والتنوير: للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور (٢٢ / ١٩٣)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس – ط سنة ١٩٨٤م. ويقول في موضع آخر: " فلذلك كانت الآية أسعد بمذهبنا أيها الأشاعرة ". ينظر: التحرير والتنوير (١ / ٤٤٣).

(١) من الشواهد الدالة على هذا الأمر – أيضًا –: ما ذكره – رحمه الله – من آراء الفرق الإسلامية في مسألة خلق أفعال العباد، ثم ترجيحه لما ذهب إليه الأشاعرة قائلاً: " والتحقيق ما ذهب إليه الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة أن الله هو مقدر أفعال العباد إلا أن فعلها هو من العبد لا من الله ". ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٧/١).

(٢) ومع ذلك لم يكن – رحمه الله – متعصبًا لمذهب الإمام مالك، بل كان يذكر آراء غيره من الفقهاء، ويرجح ما يراه موافقًا للدليل، حتى وإن خالف مذهب الإمام مالك – رحمه الله–.
ومن شواهد ذلك: ما ذهب إليه – رحمه الله – من طهارة جلد الميتة بالدبغ وجواز استعماله، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، خلافًا لما ذهب إليه الإمام مالك – رحمه الله – من طهارة ظاهر الجلد بالدبغ فقط، أما باطنة فلا يطهّر بالدبغ. ينظر: التحرير والتنوير (٢ / ١١٦).

(٣) ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم: ص ٦٢.

و – آثـــاره العلمية:

كان الشيخ – رحمه الله – موسوعة علمية؛ ومن ثمّ تنوعّت مؤلفاته من حيث الموضوعات، حيث طرق كثيرًا من أبواب العلوم، فصنّف في التفسير، والحديث، والأصول، والأدب، واللغة، والتاريخ...، وغير ذلك، وكتب مقـــالات في عديد من الصحف والمجلات التي تصدر من تونس، والقاهرة، ودمشق [١].

وتتميّز مؤلفات الشيخ وكتاباته بالدقة، والعمق، والتحرير، والإتقان، وقوة الأسلوب وبلاغته؛ وذلك لما يتمتع به الشيخ من رصيد معرفي وثقافة واسعة في العلوم الإسلامية، وفي اللغة العربية بفروعها [٢].

فمن مصنفاته المطبوعة في التفسير:

التحرير والتنوير، وأصل اسمه " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "، ثم اختصره إلى التحرير والتنوير، وقد أشار – رحمه الله – إلى الاسم ومختصره فقال: " وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، واختصرت هذا الاسم باسم " التحرير والتنوير من التفسير"[٣] ، وقد طبعت أجزاء من هذا الكتاب في حياته – رحمه الله –، ثم توالت بعد وفاته حتى طبعت الطبعة الكاملة منه سنة ١٤٠٤هـــ بالدار التونسية للنشر.

---

(١) من هذه المجلات: مجلة السعادة العظمى، والمجلة الزيتونية في تونس، ومصباح الشرق، والمنار، والهداية الإسلامية، وهدي الإسلام، ونور الإسلام في مصر، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم: ص ٧٠، ٧١.

(٢) ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم: ص ٦٨، وشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور (١ / ٣١٦).

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٨، ٩).

ومن مصنفاته في الحديث:

١ – كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، طبع في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٥م.

٢ – النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح، طبع في الدار العربية للكتاب – تونس – سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ومن مصنفاته في الفقـــه:

١ – مقاصد الشريعة الإسلامية، طبعت الطبعة الأولى منه في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٨م.

٢ – الوقف وآثاره في الإسلام، طبع بمطبعة الهداية الإسلامية.

ومن مصنفاته في اللغة والأدب:

١ – تحقيق كتاب الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني، طبع في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٦٨م.

٢ – شرح ديوان النابغة الذبياني، طبع بالشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٦م.

ومن مصنفاته في علوم البلاغة:

١ – موجز البلاغة، طبع في المطبعة التونسية.

ومن مصنفاته التاريخية والاجتماعية:

١ – نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم: لعلي عبد الرازق، طبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤هـ.

٢ – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، طبعت الطبعة الأولى منه بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية سنة ١٩٦٤م، والثانية في الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٩م.

٣ – أليس الصبح بقريب: وهو الذي ألّفه في إصلاح التعليم بتونس، طبع في المصرف التونسي للطباعة سنة ١٩٦٧م [١] [٢].

وفـــــــاته:

أفنى الشيخ – رحمه الله – عمرًا مديدًا قضاه بين البحث والتدريس، والتعليم والتأليف، وتوفي يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣هـ الموافق ١٢ أوت (أغسطس) ١٩٧٣م بعد حياة حافلة بالجد والنشاط، والإفادة والتآليف القيّمة، ومَوْتُ مثل هؤلاء موت لأجسامهم فقط، أما آثارهم فباقية يتداولها الناس ويتدارسها أهل الذكر والفكر [٣].

٢ – التعريف بتفسيره (التحرير والتنوير):

يُعَدُّ تفسير: " التحرير والتنوير" من أهم آثار الشيخ – رحمه الله – وأعظمها، فهو بالمنهج العلمي ألصق، وبطرق السابقين المتقدمين ألحق، لا يقف صاحبه من آثار الأسلاف في هذا الميدان موقف الطاعن أو الذامّ، ولكن موقف المهذِّب والمستدرِك"[٤].

وقد تناول فيه مؤلّفه – رحمه الله – تفسير القرآن الكريم تفسيرًا تامًّا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءًا، وطبع عدة طبعات مختلفة [٥]،

---

(١) ومن مؤلفاته المخطوطة:
١ – آراء اجتهادية . ٢ – أمالٍ على دلائل الإعجاز .
٣ – تاريخ العرب . ٤ – تعاليق على المطول للتفتازاني وحاشية السيالكوتي.
٥ – شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، وقد سمّاه " فوائد الأمالي التونسية على فرائد اللآلئ الحماسية"، وغيرها من الكتب الحافلة بالجهد العظيم، والعلم الغزير. ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣ / ٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) ينظر سرد هذه المصنفات في: تراجم المؤلفين التونسيين (٣ / ٣٠٧–٣٠٩)، وشيخ الجامع الأعظم: ص ٦٨–٧٠.

(٣) ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور: ص ٦٨.

(٤) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة (١ / ٣١٨).

(٥) من أبرزها طبعة الدار التونسية للنشر، وطبعة قديمة سنة ١٣٨٤هـ بمطبعة عيسى البابي الحلبي.

وكانت بداية تصنيفه سنة ١٣٤١هـ، وفرغ منه سنة ١٣٨٠هـ [١].

وقد افتتحه مؤلفه – رحمه الله – بالبسملة، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم شرع في خطبة جامعة ابتدءها بحمد الله والثناء عليه، بيَّن فيها فضل القرآن وعظم منزلته.

كما ذكر فيها مراده من تفسيره مبيّنًا حال الناس حول كلام القدامى فقال: "أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع [٢] متوسطًا في معترك أنظار الناظرين، فجعلتُ حقًا عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتًا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونةً عليها، فإن الاقتصار على الحديث المُعَاد تعطيلٌ لفيض القرآن الذي ما له من نفاد، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذٌ بِمِعْوَله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضرّ كثير"[٣].

كما ذكر – رحمه الله – مجموعة من التفاسير تعد من أهم المصادر التي رجع إليها[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠ / ٦٣٦).

(٢) وادي السباع: واد بين البصرة ومكة، وهو الذي قتل فيه سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه.
ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: للإمام أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (٣/٧١٥، ٧١٦) ط: عالم الكتب – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ومعجم البلدان: للإمام أبي عبد الله ياقوت الحموي (٥ / ٣٤٣) ط : دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٦، ٧).

(٤) من أشهر هذه التفاسير: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت (٥٣٨هـ)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي / أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت (٥٤٢هـ)، ومفاتيح الغيب: للإمام / فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي، ت (٦٠٦هـ) ، والجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما =

كما أشار إلى أنه قد تجنب التكرار لأقوال السابقين، وأنه ذكر في تفسيره ما لم يذكره المفسرون فقال: " وقد ميّزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجلِبُه من المسائل العلمية مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تَستظهره وقد تقدمّك إليه مُتَفَهِّم " [(١)].

كما وضح اتجاهه في تفسيره وهو الاتجاه البلاغي فقال: " إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى، مترامية الأطراف، موزعة على آياته، فالأحكام مُبَيَّنة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وقد نحا كثير من المفسرين بعضَ تلك الأفنان، ولكنَّ فنّـــاً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة، من أجل ذلك التزمت أن لا أُغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما أُلْهمتُه، بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر"[(٢)].

كما بيّن محتوى تفسيره وطريقته فيه فقال: " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض...، ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جمله، كأنها فِقَر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله. واهتممت بتبيين

= تضمّنه من السنة وآي الفرقان: للإمام / أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت (٦٧١هـــ)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للإمام / أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ت (٩٨٢هـــ)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة / أبي الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي ، ت (١٢٧٠هـــ)، وغير ذلك.

(١) التحرير والتنوير (١ / ٧، ٨).

(٢) المصدر السابق (١ / ٨) بتصرف.

معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتـــاً على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطوَّلات القماطير [(١)]، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير " [(٢)].

وقد قدّم – رحمه الله – لتفسيره بمقدمات عشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن فقال: " وها أنا أبتدئ بتقديم مقدمات تكون عونـــاً للباحث في التفســـــير، وتغنيه عن مُعَادٍ كثير"[(٣)].

وهذه المقدمات هي:

الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا.

الثانية: في استمداد علم التفسير.

الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

الخامسة: في أسباب النزول.

السادسة: في القراءات.

---

(١) القماطير: جمع القِمَطْر: والقِمَطْر: الجمل القوي السريع، وقيل: الجمل الضخم القوي، وكل شيء جمعته فقد قمطرته، والقِمَطر والقِمَطْرة: ما تُصان فيه الكتب . ينظر: لسان العرب: للإمام / محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٥ / ١١٦، ١١٧) مادة (قمطر)، ط: دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـــ.

(٢) التحرير والتنوير (١ / ٨) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٩).

السابعة: في قصص القرآن.

الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

التاسعة: في أن المعاني التي تتحمّلها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

العاشرة: في إعجاز القرآن [١] [٢].

ثمّ ختم – رحمه الله – تفسيره بقوله: " وإن كلام رب الناس حقيق بأن يُخدم سعيًا على الرأس، وما أدى هذا الحقَّ إلا قلمُ المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي طالما استنَّ بشوط فسيح، وكم زُجر عند الكَلال والإعياء زجر المَنيح[٣]، وإذ قد أتى على التمام فقد حَقَّ له أن يستريح " [٤].

(١) وقد ضمّن هذه المقدمة موضوع " مبتكرات القرآن "، وبيّن أن في القرآن مبتكرات تميَّز بها عن بقية كلام العرب.

(٢) ينظر هذه المقدمات في تفسيره التحرير والتنوير من (١ / ١٠) إلى (١ / ١٣٠).

(٣) المنيح: الذي لا نصيب له. ينظر لسان العرب (٢ / ٦٠٧) مادة (منح) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٠ / ٦٣٦).

المبحـــث الأول
المدلـول اللغـوي والاصـطلاحي لمصطلح الابتكـار

يحسن بنا قبل الخوض في غمار هذا البحث أن نقف على المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الابتكار؛ لأن الوقوف على مدلوله يمنع من الخلط بينه وبين غيره من الأساليب البلاغية التي قد تتطابق معه، وأبدأ أولاً بالمدلول اللغوي:

أ – المدلول اللغوي لمصطلح الابتكار:

الابتكار مصدر الفعل " ابتكر "، وهو مشتق من الأصل الثلاثي " بكر"، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية وجدت أن مادة "بكر" تدور في اللغة العربية حول معنيين :

الأول: ابتداء الشيء:

جاء في معجم مقاييس اللغة: " البكر: أول الشيء وبدؤه" [(١)].

الثاني: السبق إلى الشيء:

ورد في لسان العرب: " بَكِرَ: عَجِل، وبَكَّر وتبكّر وأبكر: تقدَّم، وكل من أسرع إلى شيء فقد بَكَّر إليه"[(٢)] وهذه العبارة – كل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه – عبارة جامعة لوحظ فيها سرعة الفعل مع إدراك الأولية من كل شيء [(٣)].

وقد جمع العلامة الراغب الأصفهاني [(٤)] بين هذين المعنيين فقال :

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (١ / ٢٨٧) مادة " بكر".

(٢) لسان العرب: (٤ / ٧٧) مادة " بكر ".

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: للدكتور/هاني بن عبيد الله بن عناية الله الصاعدي : ص ٤٥ رسالة ماجستير في البلاغة – كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى: ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .

(٤) العلامة الراغب الأصفهاني : هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني أو "الأصبهاني" المعروف بالراغب ، صاحب المصنفات ، له " المفردات في غريب القرآن " ، و" أفانين البلاغة " ، =

" أصل الكلمة هي البُكْرة التي في أول النهار، فاشتُقّ من لفظه لفظ الفعل فقيل: بَكَر فلان بُكورًا : إذا خرج بُكْرَةً ، والبَكُور : المبالغ في البكور ، وبكّر في حاجة وابتكر، وباكر مباكرة، وتُصوّر معها معنى التعجيل، فقيل لكل متعجل في أمر: بَكِرَ [١].

يتضح من كل ما تقدّم أن مصطلح الابتكار عند اللغويين يعني: ابتداء شيء غير مسبوق إليه، وهذا المعنى قريب من المعنى الاصطلاحي الذي نتعرف عليه في الفقرة التالية.

ب – مدلول مصطلح الابتكار في الاصطلاح البلاغي:

مصطلح الابتكار عند علماء البلاغة يعني: الجدة والإبداع والاختراع والطرافة في المعاني والتراكيب والأساليب[٢]؛ومن ثَمَّ كان هذا المدلول الاصطلاحي لمصطلح الابتكار متشابهًا مع بعض المصطلحات التي وردت بمفهومه، والتي نتعرف عليها في المبحث التالي.

= و"محاضرات الأدباء "، توفي سنة ٥٠٢هـ. ينظر: طبقات المفسرين: للإمام محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي (٢ / ٣٢٩)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ، والأعلام (٢ / ٢٥٥).

(١) المفردات في غريب القرآن: للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ " الراغب الأصفهاني " (١٤٠/١)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر: البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) للأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (٥٧/١)، ط: دار القلم – دمشق، والدار الشاميّة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ومبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٥٥.

المبحث الثاني
العلاقة بين مصطلح الابتكار
وبين بعض المصطلحات التي وردت بمفهومه

من يُمعن النظر في المدلول الاصطلاحي لمصطلح الابتكار يدرك أن هناك تشابهًا وتداخلاً بينه وبين بعض المصطلحات البلاغية التي وردت بمفهومه، كالإبداع، والاختراع، وسلامة الاختراع من الاتباع، والتشبيهات العُقُم، والاستغراب والطرفة.

وفيما يلي بيان لهذه المصطلحات، ثم توضيح العلاقة بينها وبين مصطلح الابتكار.

أما الإبداع فقد عرّفه الإمام ابن أبي الإصبع [١] بقوله: " الإبداع: هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر، أو الفصل من النثر، أو الجملة المفيدة متضمنة بديعًا، بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدًا من البديع، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع " [٢].

ويمكن اختصار هذا التعريف إلى القول إن الإبداع هو: " أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع" [٣].

---

(١) الإمام ابن أبي الإصبع: هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي، ثم المصري، ولد سنة ٥٩٥ هـ بمصر ، له تصانيف حسنة منها : " بديع القرآن"، و" تحرير التحبير "، و" الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح "، توفي بمصر سنة ٦٥٤هـ. ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: للإمام/ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٧ / ٣٧، ٣٨)، تعليق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، والأعلام للزركلي (٤/٣٠).

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: للإمام / ابن أبي الإصبع المصري: ص٦١١، تحقيق: د/ حفني شرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – بدون تاريخ.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢ / ٤٨٢).

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١]. فقد استخرج العلامة ابن أبي الإصبع من الآية الكريمة واحدًا وعشرين ضربًا من ضروب البديع[٢][٣].

وقيل في تعريف الإبداع – أيضًا –: هو أن يخترع المتكلم معاني غير مسبوق إليها [٤]، كما قيل: " خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكرًا"[٥].

وعلى هذا التعريف يكون الإبداع والاختراع مترادفين من حيث المضمون، غير أني وجدت من فرَّق بينهما فقال: "والفرق بين الاختراع والإبداع وإن كان معناهما في العربية واحدًا، إلا أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع : الإتيان بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرّر ، فصار الاختراع للمعنى ، والإبداع للفظ" [٦].

بل أضاف بعض العلماء في تعريف الاختراع قيدًا آخر هو: عدم الاتباع بعد الابتداع، واصطلحوا على تسميته بسلامة الابتداع من الاتباع، أو سلامة الاختراع من

---

(١) سورة هود الآية: ٤٤.

(٢) من هذه الأضرب : الطباق، وحسن النسق، وحسن التعليل، وصحة التقسيم، والتسهيم، والإرداف، وغير ذلك.

(٣) ينظر: تحرير التحبير: ص٦١١، ٦١٢.

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع : للإمام / ابن معصوم المدني (٦ / ٢٠٤) ، تحقيق : شاكر هادي شكر، ط: مطبعة النعمان – النجف الأشرف – الطبعة الأولى: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

(٥) القائل هو : عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد . ينظر : الإعجاز والإيجاز: للإمام / أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: ص ١١٠، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة – بدون تاريخ.

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (١ / ٢٦٥)، تحقيق: الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الاتباع.

وعرّفه ابن أبي الإصبع بقوله: "هو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع فيه"(١). ثم ذكر – رحمه الله– أمثلة عديدة لهذا الأسلوب، وقال بعدها: " ومتى شئت أن تتلاشى هذه المعاني عندك قديمها وحديثها فتدبّر ما جاء من هذا الباب في الكتاب العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾(٢).

فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي يتضمّن هذا الإفراط في المبالغة، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في باب لأحد قبل نزول القرآن العزيز، ولم يتناوله متناول كما فعل في أكثر المعاني إلى الآن، ولو تتبع ذلك في الكتاب الكريم لوجد لهذا الموضع أمثال شتى"(٣).

ففي هذا القول من الإمام ابن أبي الإصبع إشارة – من بعيد – إلى المبتكرات القرآنية – موضوع بحثنا –، وربما يكون العلامة الطاهر ابن عاشور قد بنى عليها ما ذكره في مبتكرات القرآن.

والظاهر أن هذين المصطلحين – سلامة الابتداع من الاتباع، أو سلامة الاختراع من الاتباع – مختلفان تمامًا عن مصطلحي الإبداع والاختراع، والفرق أن سلامة الابتداع من الاتباع تستلزم أن لا يُقَلَّد هذا المبتدَع كما لم يسبق، وربما يكون هذا المعنى أقرب للمراد إذا تعلّق بالقرآن؛ لأن القرآن معجز، فهو سبَّاق فيما ابتدع، وسالم من أن يُتّبع فيما ابتدع(٤).

---

(١) تحرير التحبير: ص ٤٧١.

(٢) سورة الحج من الآية: ٧٣.

(٣) تحرير التحبير: ص ٤٧٤ بتصرف.

(٤) مبتكرات القرآن عند ابن عاشور دراسة نقدية مقارنة: للدكتور / عماد طه أحمد الراعوش: ص ٧٨، بحث منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية – المملكة العربية السعودية – العدد الثاني عشر – المجلد السادس: ٢٠١٦م.

أما التشبيهات العُقُم فمعناها: هي التي لم يُسبق إليها، ولا يقدر أحد عليها[١] مشتقة من الريح العقيم، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة [٢].

ومن أمثلة هذا المصطلح: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [٣][٤].

ومن الأساليب البلاغية المتشابهة مع مصطلح الابتكار –أيضًا–: أسلوب الاستغراب والطرفة ، وعُرّف بأنه : ما كان معناه مما لم يُسبَق إليه على جهة الاستحسان [٥].

بعد هذا العرض الموجز لبعض المصطلحات المتشابهة مع مصطلح الابتكار أستطيع أن أقول: إن هناك قاسمًا مشتركًا بينها وبين مصطلح الابتكار هو: تحصيل أولية الشيء والسبق إليه، فلو تأملنا تعريفات هذه الأساليب لوجدناها تدور حول معنى واحد هو: كون المعنى مما لم يُسبَق إليه؛ ومن ثَمَّ كانت العلاقة بين مصطلح الابتكار وبين هذه

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١ / ٢٩٦).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٢ / ٤١٣)، مادة (عقم).

(٣) سورة النور من الآية: ٣٩.

(٤) قال العلامة الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: " اعلم أن هذا التمثيل العجيب صالح لتفريق أجزائه في التشبيه، بأن ينحلّ إلى تشبيهات واستعارات، فأعمال الكافرين شبيهة بالسراب في أن لها صورة الماء وليست بماء ، والكافر يشبه الظمآن في الاحتياج إلى الانتفاع بعمله ، ففي قوله : ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ ﴾ استعارة مُصَرِّحة، وخيبة الكافر عند الحساب تشبه خيبة الظمآن عند مجيئه السراب، ففيه استعارة مصرحة، ومفاجأة الكافر بالأخذ والعتْل من جند الله أو بتكوين الله تشبه مفاجأة من حسب أنه يبلغ الماء للشراب فبلغ إلى حيث تحقّق أنه لا ماء، فوجد عند الموضع الذي بلغه من يترصد له لأخذه أو أسره، فهنا استعارة مكنيّة؛ إذ شبَّه أمر الله أو ملائكته بالعَدُوّ، ورمز إلى العدوّ بقوله ﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ ﴾، وتعدية فعل " وجد " إلى اسم الجلالة على حذف مضاف هي تعدية المجاز العقلي. التحرير والتنوير (١٨ / ٢٥٤).

(٥) نقد الشعر: للإمام / قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي: ص ٥٤، ط: مطبعة الجوائب – قسطنطينية – الطبعة الأولى: ١٣٠٢هـ.

المصطلحات هي المطابقة " إلا أن كل أسلوب يفارق غيره بظلاله اللغوية الأولية على القارئ، فالابتكار من معناه اللغوي [١] يوحي بالمسابقة في استجلاب المعاني المخترعة، ويدل على الامتياز والقيمة؛ لما في البكورة من نور وجلاء بعد الظلام والخفاء؛ ولما فيه من التنبيه على وجود المعاني والعلائق بين الأشياء، والمبتكِر إنما ابتكر وكشف المعنى لا أنه أوجده وأنشأه"[٢].

ومن ثَمَّ آثر العلامة الطاهر ابن عاشور مصطلح المبتكرات على غيره من المصطلحات المتطابقة معه، بل " كثر التعبير بـــ " ابتكر" ومشتقاتها عنده كثرة يصعب حصرها، وذكر مواطن استخدامها.

إن لفظ " ابتكر " ومشتقاته عَلِق بقلم ابن عاشور حتى أصبح من معجمه الذي يعرف من خلاله، فما من مؤلّف للعلامة الطاهر ابن عاشور إلا ولفظ "الابتكار" مرقوم في أثنائه، مؤثر على غيره من مرادفاته"[٣]، ولا شك أن العلامة الطاهر ابن عاشور على

---

(١) سبق الحديث عنه في المبحث الأول من هذا البحث.

(٢) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٥٤، ٥٥.

(٣) فعلى سبيل المثال: ذكر لفظ الابتكار ومشتقاته في كتابه " موجز البلاغة " في مواضع متعددة منها قوله: "وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما ابتكره المزاولون لكلامهم وأدبهم، وعلى ما يحسن ذلك مما وقع في كلام العرب، وابتكره المولعون بلسانهم يُعَدُّ بلوغًا من المتكلم إلى منتهى الإيضاح عن مراده". موجز البلاغة: للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور ص ٣، ط: المكتبة العلمية – تونس – الطبعة الأولى – بدون تاريخ.
وفي كتابه شرح المقدمة الأدبية قال: " وأبو تمام من شعراء الدولة العباسية في خلافة المعتصم والمتوكل، امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر، وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثرها. شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة: للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، ص ٥٢، ٥٣، تحقيق: ياسر المطيري، ط: مكتبة دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٣١هـــ .
أما في تفسيره التحرير والتنوير فقد تكرر لفظ الابتكار ومشتقاته في مواضع متعددة، ينظر على سبيل المثال لا الحصر: (١٠٦/١) ، (٥٧٥/١) ، (١٠١/٨) ، (٢٩٢/١٥) ، (٣٢٥/١٥)، (٦٩/١٦) .

علم بالمصطلحات التي عبّر بها العلماء في هذا الشأن[١].

وإذا ما تساءلنا عن سبب دخول لفظ الابتكار في معجم ابن عاشور وكثرة وروده، فسنجد ذلك أثرًا من آثار الثقافة والبيئة اللتين وراءهما ما وراءهما من التأثير في اختيار الألفاظ، وطرائق التعبير، وطريقة التفكير، ومنهجية التأليف، وسنجد أن لابن عاشور نسيجًا من الألفاظ كانت نتاج بيئته وثقافته، من مثل استعماله لاسم الإشارة "هاته"[٢] التي لا نجدها مستعملة في المشرق العربي، وتحقيق الهمز في لفظ " النبئ" [٣]، والتسهيل في لفظ " الأيّمة " [٤]، ومثل هذه تمامًا لفظ " الابتكار"، فإنه قد يكون من المفردات التي اشتهرت في المغرب العربي، التي توارثوها من أسلافهم [٥].

(١) كمصطلح الإبداع، والاختراع، وسلامة الاختراع من الاتباع، والتشبيهات العقم، والاستغراب والطرفة.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: تفسير التحرير والتنوير: (١ / ٦)، (١ / ٤٥)، (١ / ٧٢)، (٣ / ١٥٧)، (٧ / ١٨٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٣ / ١٧٠)، (٤ / ١١٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٥ / ١٧)، (٥ / ١٨٥)، (١٠ / ٥٤).

(٥) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١١٩، ١٢٠.

المبحث الثالث
مفهوم مصطلح مبتكرات القرآن
عند العلامة الطاهر ابن عاشور

يعتبر العلامة الطاهر ابن عاشور أول من استخدم مصطلح" مبتكرات القرآن "، فلم يرد عند العلماء قبله، لكن وردت إشارات لهذا المصطلح نبّه عليها العلماء قبل العلامة الطاهر ابن عاشور، من هذه الإشارات:

١ – ما ذكره العلامة الجاحظ [(١)] – رحمه الله – من أن استعمال لفظ: "القرآن " بهذه الصيغة علمًا على كلام الله المنزّل على النبي (صلى الله عليه وسلم) من مبتكرات القرآن، حيث قال: " وقد سمَّى الله كتابه المنزل قرآنًا، وهذا الاسم لم يكن حتى كان " [(٢)].

ففي قوله " وهذا الاسم لم يكن حتى كان ": إشارة إلى أن لفظ " القرآن " من مبتكراته، فلم يكن مستعملاً عند العرب قبل القرآن بهذا المعنى.

وقد نقل العلامة السيوطي[(٣)] عن العلامة الجاحظ – رحمهما الله – قوله: " سمى

---

(١) العلامة الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ، من أهل البصرة، أحد شيوخ المعتزلة، له كتاب " البيان والتبيين "، وكتاب " الحيوان "، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٢ / ٢٢٨)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – بدون تاريخ.

(٢) الحيوان: للإمام / عمرو بن بحر بن محبوب أبي عثمان الشهير بالجاحظ (١ / ٢٣٢)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

(٣) العلامة السيوطي : هو الإمام / عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة ٨٤٩ هـ، من كتبه: " الإتقان في علوم القرآن "، و" الأشباه والنظائر في العربية " ، توفي سنة ٩١١ هـ . ينظر : طبقات المفسرين : للإمام / أحمد بن محمد الأدنه وي: ص٣٦٥، ٣٦٦، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٩٩٧م، والأعلام: (٣ / ٣٠١، ٣٠٢).

الله كتابه اسمًا مخالفًا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمّى جملته قرآنًا كما سَمَّوْا ديوانًا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية " [١].

٢ – ما ذكره الإمام الزجاجي [٢] – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [٣] قال: " قوله تعالى: ﴿ سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ نظم لم يُسمع قبل القرآن، ولا عرفته العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم " [٤].

ففي هذا القول إشارة إلى أن هذا التركيب القرآني من مبتكرات القرآن.

٣ – ما نُقل عن الإمام ابن خالويه [٥] من أنه قال عن لفظ " الجاهلية ": إنه اسم حدث

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين السيوطي (١ / ١٧٨) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٢) الإمام الزجاجي: هو عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم شيخ العربية في عصره، نسبته إلى أبي إسحاق الزجاج، له كتاب " الجمل الكبرى "، و"الإيضاح في علل النحو"، و" الأمالي "، و"المخترع في القوافي "، توفي سنة ٣٣٧هـ، وقيل سنة ٣٣٩هـ. ينظر: بغية الوعاة (٢ / ٧٧)، والأعلام (٣ / ٢٩٩).

(٣) سورة الأعراف من الآية: ١٤٩.

(٤) نقل هذا القول عن الإمام الزجاجي ونسبه إليه الإمام أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني في مجمع الأمثال (١ / ٣٣٠)، ط: دار المعرفة – بيروت – بدون تاريخ، والإمام السمين الحلبي في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٥ / ٤٦٢)، تحقيق الدكتور / أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم – دمشق – بدون تاريخ، ونسبه العلامة الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٩ / ١١١، ١١٢) إلى الإمام الزجاج – رحمه الله –، وقد رجعت إلى " معاني القرآن وإعرابه " للإمام الزجاج، فلم أجد فيه هذا النص ؛ ومن ثمّ فنسبة القول إلى الإمام الزجاجي أولى.

(٥) الإمام ابن خالويه: هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون أبو عبد الله النحوي اللغوي، الإمام المشهور، أخذ القراءات عرضًا عن أبي بكر بن مجاهد، وله تصانيف كثيرة منها: البديع في القرآن الكريم، وحواشي البديع في القراءات، ومختصر في شواذ القراءات ، و" ليس في كلام العرب " ، مات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: للإمام / شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (٢٣٧/١) الناشر: مكتبة ابن تيمية – بدون تاريخ، والأعلام (٢ / ٢٣١).

في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة " [١].

ففي هذا القول – أيضًا – إشارة إلى أن لفظ " الجاهلية " من مبتكرات القرآن، وقد ورد في القرآن مضافًا إليه في عدة مواضع منها : قوله تعالى : ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [٢]، وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [٣]، وقوله: ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [٤]، وقوله: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[٥].

يلحظ على هذه الإشارات التي ذكرها العلماء أنهم لم ينصُّوا فيها على مصطلح " مبتكرات القرآن "، لكن مضمونها هو نفس مضمون الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور.

وجدير بالذكر أن العلامة الطاهر ابن عاشور على الرغم من ابتكاره لمصطلح "مبتكرات القرآن" إلا أنه لم يحدّد المراد منه في تفسيره "التحرير والتنوير"، وهذا يستدعي الوقوف على مفهوم هذا المصطلح في كتب العلامة الطاهر ابن عاشور الأخرى، فقد أشار – رحمه الله – إليه في كتابيه "أليس الصبح بقريب"، و"أصول الإنشاء والخطابة".

ففي كتابه الأول قال: "ومعنى الابتكار: أن يصير الفكر متهيّئًا لأن يبتكر المسائل ويوسع المعلومات كما ابتكرها الذين من قبله" [٦].

---

(١) نقل هذا القول عن الإمام ابن خالويه ونسبه إليه: الإمام السيوطي في المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/٢٤٠)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٥٤.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب من الآية: ٣٣.

(٥) سورة الفتح من الآية: ٢٦ .

(٦) أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصْلاحيّة): للعلامة / محمد الطاهر ابن عاشور: ص ١١٣، ط: دار السلام للنشر والتوزيع، ودار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

وهذا المعنى بعيد عما نحن بصدده، فهو يشير إلى عملية التهيئة والاستعداد الفكري.

وفي مؤلّفه الثاني حصر طرق أخذ المعنى في ثلاثة: الابتكار، والبداهة، والشهرة، ثمّ عرّف الابتكار فقال: " أما الابتكار فهو: استنباط المعنى بفكر ونظر"(١). وهذا تعريف عام للابتكار.

أما عن مراد العلامة الطاهر ابن عاشور من هذا المصطلح فنستطيع من خلال استقراء تفسيره وتتبع مواضع ورود المصطلح فيه (٢) أن نحرّر المراد منه حسبما يقصده العلامة الطاهر ابن عاشور، فمن المواضع التي ورد فيها هذا المصطلح في تفسيره ما يلي:

أ – قوله – رحمه الله –: " هذا وللقرآن مبتكرات تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب(٣).

ب – قوله – رحمه الله – عن تركيب قوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ (٤): " وأحسب أن مثل هذا التركيب من مبتكر أساليب القرآن، ولم أذكر أني عثرت على مثله في كلام العرب"(٥).

ج – وقال عن تركيب قوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾(٦): "وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب، فلعله من مبتكرات القرآن " (٧).

يتضح من خلال هذه المواضع التي ورد فيها ذكر مصطلح " مبتكرات القرآن " أن

---

(١) أصول الإنشاء والخطابة: للعلامة / محمد الطاهر ابن عاشور: ص ١٨، ط: مطبعة النهضة – تونس – الطبعة الأولى ١٣٣٩هـ.

(٢) حيث نَصَّ – رحمه الله – على هذا المصطلح في تفسيره ما يقرب من ثمانية وعشرين موضعًا، ابتداء من سورة البقرة وانتهاء بسورة الشمس.

(٣) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠).

(٤) سورة البقرة من الآية: ٤٠ .

(٥) التحرير والتنوير (١ / ٤٥٦).

(٦) سورة إبراهيم من الآية: ٩.

(٧) التحرير والتنوير (١٣ / ١٩٦).

العلامة الطاهر ابن عاشور أراد منه: ما سبق به القرآن من خصائص وأساليب وتراكيب ومعان وألفاظ لم تكن عند العرب قبل نزول القرآن [١] ؛ ومن ثمَّ فمبتكرات القرآن: وجه من وجوه الإبداع في استعمال اللغة وأساليبها، والتفنّن في النظم والتعبير على نحو لم يسبق إليه العرب مع ما بلغوه من براعة في اللغة ؛ ولذلك هو وجه من وجوه إعجازه من جهة أنه جاء بنوع من النظم فريد غير مسبوق، وهذا من حيث الإجمال، وهو كذلك من حيث التفصيل [٢] ؛ إذ أكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديدًا في اللغة، لم يوضع من قبله ذلك الوضع، ولم يجر في استعمال العرب كما أجراه" [٣].

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١١٧، ١١٨ .

(٢) مبتكرات القرآن عند ابن عاشور دراسة نقدية مقارنة: ص ٧٨ .

(٣) وحي القلم: للأستاذ / مصطفى صادق الرافعي (٣ / ٣١٩، ٣٢٠)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

المبحث الرابع

وجوه الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور

على الرغم من أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب إلا أن له أسلوبه [١] الخاص الذي تميّز به عن غيره، بما فيه من خصائص فنية، وسمات بلاغية، ودقة تصويرية، وروعة بيانية، وقوة تأثيرية.

وقد رسم القرآن الكريم من خلال أسلوبه مبتكراته التي تميز بها عن كلام العرب.

قال العلامة الباقلاني [٢]: " فأمّا شَأْو [٣] نظم القرآن [٤] فليس له مثال يحتذى

---

(١) أسلوب القرآن هو : طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (٣٠٣/٢) ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

(٢) العلامة الباقلاني: هو الإمام العلامة أوحدُ المتكلمين القاضي: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر، من كبار علماء الكلام، ولد سنة (٣٣٨هـ)، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه، من تصانيفه: " إعجاز القرآن "، و" الإنصاف "، و" مناقب الأئمة "، توفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٧ / ١٩٠ – ١٩٣)، والأعلام: (٦ / ١٧٦).

(٣) الشأو: الشين والهمزة والواو كلمتان متباعدتان جدًا، فالأول: السبق يقال: شَأَوْتُه أي: سَبَقْتُه، والكلمة الأخرى: الشأو: ما يخرج من البئر إذا نُظِّفَت. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣ / ٢٣٨) مادة (شَأَوَ).

(٤) نظم القرآن: يقصد به طريقة تأليف حروفه وكلماته وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها؛ للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.

والفرق بين الأسلوب والنظم: أنّ دائرة الأسلوب أوسع وأشمل، ولا يدرك الأسلوب بالجملة الواحدة، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة، بل وحتى في الكلمة الواحدة. مباحث في إعجاز القرآن: للدكتور / مصطفى مسلم: ص ١٣٣، ط: دار القلم – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

عليه، ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقًا " [١].

وقال العلامة الرماني [٢] : " وأما نقض العادة فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة [٣]، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، ويفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام " [٤].

ومن ثَمَّ فإن العلامة الطاهر ابن عاشور قد أفرد للمبتكرات القرآنية مبحثًا مستقلاً أدرجه ضمن مبحث آخر – في المقدمة العاشرة – هو: إعجاز القرآن [٥] ، وفيما

---

(١) إعجاز القرآن: للإمام / أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني: ص ١١٢، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

(٢) العلامـــة الرمَّاني : هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني ، باحث معتزلي ، من كبار النحاة ، ولد سنة ٢٩٦هـــ، أصله من سامراء، له نحو مائة مصنف منها: " الأكوان "، و" الأسماء والصفات" و" النكت في إعجاز القرآن "، توفي سنة ٣٨٤هـــ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٦ / ٥٣٣)، وبغية الوعاة: (٢ / ١٨٠، ١٨١)، والأعلام: (٤ / ٣١٧).

(٣) منها: الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث. ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للأئمة الرمَّاني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني ص١١١، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود/ محمد زغلول سلام، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) مما تجدر الإشارة إليه أن العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – تناول قضية الإعجاز القرآني في المقدمة العاشرة والأخيرة من مقدمات تفسيره التحرير والتنوير، وقد ذكر فيها – رحمه الله – أن للإعجاز القرآني أربع جهات:

الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة، ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الثالثة: ما أُودع فيه من المعاني الحِكَمِيَّة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلُغ إليه عقول البشر =

يلي جملة من المبتكرات الأسلوبية القرآنية عند العلامة الطاهر ابن عاشور:

١ – مخالفة أسلوب القرآن لأسلوبي الشعر والخطابة، ومجيء نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائق العرب القديمة في الكلام(١) (٢).

" وجهة مخالفته للشعر تتمثل في مجيئه متجردًا من الوزن والقافية اللذين هما قوام الشعر وعماده، وهذا دلّ عليه القرآن بنفي أن يكون القرآن شعرًا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا

= في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة.

الرابعة: ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيَّبات؛ مما دلَّ على أنّه منزل من علاّم الغيوب.

ينظر: التحرير والتنوير (١ / ١٠٤، ١٠٥).

وقد أدرج المبتكرات القرآنية ضمن الجهة الثانية من جهات الإعجاز ؛ مما يدل على أن علاقة المبتكرات القرآنية بالإعجاز هي: علاقة الجزء بالكل، فالمبتكرات القرآنية جزء من الإعجاز القرآني، ويدل على ذلك:

" أ – أن الأصل في إيراده للمبتكرات في هذا المكان بالتحديد هو صلتها الوثيقة بما أبدعه القرآن من أفانين التصرف مما لم يوجد في كلام العرب، وهي بمنزلة التمثيل على هذا الوجه.

ب – أن العلامة الطاهر نص على الإعجاز في بعض المبتكرات، منها: قوله في أول المبتكرات: " فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة، إلى أن قال: وذلك من وجوه إعجازه ". ينظر: التحرير والتنوير (١ / ١٢٠) .

ج – أن ما ذكره من أساليب مبتكرة جاءت من نظم الكلام؛ ولذا قال: " هذا وللقرآن مبتكرات تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب ". التحرير والتنوير (١ / ١٢٠)، والتميز هو الإعجاز. مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور: دراسة بلاغية: ص ١٧٠، ١٧١ بتصرف.

(١) ومن أمثلة مجيء نظمه على طريقة مبتكرة: ما ذكره العلامة الطاهر – رحمه الله – في قوله: " وقد تتبعت أساليب من أساليب نظم الكلام في القرآن فوجدتها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ سورة الطلاق من الآيتين: ١٠، ١١، فإبدال ﴿ رَّسُولًا ﴾ من ﴿ ذِكْرًا ﴾ يفيد أن هذا الذكر ذكرُ الرسول، وأن مجيء الرسول هو ذكر لهم، وأن وصفه بقوله : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يفيد أن الآيات ذكر. التحرير والتنوير (١ / ١٢٢، ١٢٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١ / ١٢٠).

هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (١)، وبنفي شاعرية الرسول ﷺ التي تستلزم بطلان شعرية ما جاء به ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

وقد أدرك العرب تلك المخالفة حينما سمعوه، ولا عبرة بموافقة بعض جمل القرآن لبعض أوزان الشعر حتى نقول بالاتفاق الجزئي، فإن المخالفة تثبت بجملة الأسلوب الغالب الذي جاء به القرآن، ولا تمثل الجمل الموزونة شيئًا بالنسبة لغيرها، فلا يلحقها وصف الشعر فضلاً عن أن توصف جملة الأسلوب بذلك (٣).

قال العلامة السيوطي – رحمه الله –: " مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد، فقول من قال: " شعر " كفر وعناد محض " (٤).

أما عن جهة مخالفته لأسلوب الخطابة فلم يبين العلامة الطاهر ابن عاشور أوجه المخالفة بينهما " بل إنه عاد إلى تميز أسلوب القرآن بالإشارة إلى مقصد الحفظ والتلاوة اللذين أساسهما قائم على النظم المعجز" (٥)، وكأن العلامة الطاهر يريد أن طريقة القرآن المبتكرة وإن شابهت أسلوب الخطابة بعض المشابهة في مجيئها مجردة من الوزن والقافية، فإن نظم القرآن بُني على طريقة مبتكرة في عرض معانيه، وكان لاختلاف المقاصد بين ما يرمي إليه القرآن وما يبغيه الخطيب العربي من خطبته أثر في هذه المخالفة (٦).

---

(١) سورة الحاقة الآية: ٤١.

(٢) سورة يس الآية: ٦٩.

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٢٨١، ويراجع: إعجاز القرآن للإمام الباقلاني: ص ٧٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: (٣ / ٣٤٩، ٣٥٠).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠).

(٦) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٢٨٧.

٢ – ومن الأساليب القرآنية المبتكرة: أسلوب التقسيم والتسوير [١]، وهي سنة جديدة في الكلام العربي، الغرض منها: سهولة حفظ القرآن ومدارسته.

"وهذا الأسلوب عائد إلى جملة القرآن، ولكنه يختلف عن المبتكر السابق من جهة أنه حديث عن تقسيم القرآن إلى أجزاء مسوّرة، لا عن نظمه وطريقة عرضه لمعانيه، وظاهر عطف " التقسيم " على " التسوير " أنهما مختلفان؛ مما يتبادر للذهن أن التقسيم تقسيم تراكيبه وسوره إلى آيات وسور [٢]، وأن " التســـــوير" تسوير جملته إلى سور، فعبّر بالخاص بعد العام لأهميته، ويحتمل أنهما شيء واحد، والعطف لإيضاح التقسيم، وهذا هو الأقرب.

وعدُّ العلامة الطاهر – رحمه الله – هذا الأسلوب من المبتكرات إنما هو بالنسبة للعرب فقط؛ لأن هذا التقسيم خاص بالنثر دون الشعر، وما وُجد من منثورهم لم يكن ليطول حتى يقسم أجزاء، فيسمى كل جزء باسم يخصّه"[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن " تقسيم القرآن متميزٌ إلى حد الإعجاز، بحيث يستوفي كل قسم "سورة" أغراضه ومعانيه؛ مما يلبي رغبة القارئ في استيفاء المعنى الذي بدأه، ويجعل وقوفه عند نهاية القسم معتبرًا، حتى إذا بدأ القسم التالي له نشط له، وأحسّ أنه دخل مرحلة جديدة، مشابهة لسابقتها في معانيها وأغراضها[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠).

(٢) ويحتمل أن يكون المراد من التقسيم: استيفاء المتكلم أقسام الشيء الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئًا، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة الرعد من الآية ١٢] وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين. تحرير التحبير: ص ١٧٣، لكن عطف " التسوير " على " التقسيم " رجح أن المراد من التقسيم: تقسيم القرآن إلى سور وآيات، وأن " التسوير " تسوير جملته إلى سور.

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٢٩٣.

(٤) المرجع السابق: ص ٢٩٧.

٣ – التفنّن في الأسلوب بين السور ، فتكاد تكون لكل سورة لهجة خاصة، فإن بعضها بني على فواصل [١]، وبعضها ليس كذلك، وكذلك فواتحها منها ما افتتح بالاحتفال كالحمد [٢]، ومنها ما افتتح بالهجوم على الغرض من أول الأمر، نحو: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [٣] [٤].

لكن مما تجدر الإشارة إليه أن مجرد التفنّن في الأسلوب ليس جديدًا على العرب؛ ومن ثمّ فالابتكار في هذا الأسلوب جاء من جهة تميّزه " فكل سورة لها خصائص نظمية تميزها عن بقية السور، وتميزها – قبل ذلك – عن كلام البشر؛ ومن ثَمَّ فالتفنّن بين أساليب السور وقع من جهة تمييز مجموعة من السور عن غيرها، ومن جهة تمييز السورة الواحدة عن بقية السور " [٥].

٤ – ومن الأساليب القرآنية المبتكرة: أسلوب الإيجاز[٦]، فقد جاء القرآن بأبدعه

---

(١) الفواصل جمع الفاصلة، والفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. الإتقان في علوم القرآن: (٣ / ٣٣٢) .

(٢) وهي سور: فاتحة الكتاب، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

(٣) سورة محمد الآية الأولى.

(٤) التحرير والتنوير : (١ / ١٢١).

(٥) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٢٩٨ – ٣٠٠ بتصرف .

(٦) الإيجاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. مفتاح العلوم: للإمام / أبي يعقوب يوسف السكاكي: ص ٢٧٧، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: د / نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
وهو ضربان : أحدهما إيجاز القصر وهو : الوجيز بلفظه ، أو : هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ ، وسبب حسنه : أنه يدل على التمكن في الفصاحة ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٩٩]، فإن هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق؛ لأن في أخذ العفو: التساهل والتسامح في الحقوق، واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالعُرف: كف الأذى، وغضّ البصر، وما شاكلهما من المحرمات، وفي الإعراض: الصبر والحلم والتؤدة. ينظر: الإتقان في علوم – =

إذ كان – مع ما فيه من الإيجاز المُبَيَّن في علم المعاني [١] – فيه إيجاز عظيم آخر هو: صَلُوحِيَّة معظم آياته لأن تؤخذ منها معانٍ متعدّدة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ، ولولا إيجاز القرآن لكان أداء ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرارُ التنزيل ورموزُه في كل باب بالغةٌ من اللّطف والخفاء حدًّا يَدِقُّ عن تفطُّن العالم ويزيد عن تبصرُّه، ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [٢] [٣].

= القرآن: (٣ / ١٨١ – ١٨٣) بتصرف، والإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع: للإمام الخطيب القزويني: (٣ / ١٨١) تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي – ط: دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

والضرب الثاني : إيجاز الحذف: وهو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني، ولا بد في كل حذف من وجود أمرين : داع يدعـــو إليه، وقرينـــة تدل على المحذوف، والمحذوف إما أن يكون جزء كلمة، أو كلمة، أو جملة، أو أكثر من جملة. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: (٣ / ١٨٤).

فمن أمثلة حذف جزء الكلمة: قوله تعالى حكاية عن السيدة مريم – عليها السلام –: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [سورة مريم من الآية: ٢٠]، فالأصل " ولم أكن " حذفت النون تخفيفًا.

ومن أمثلة حذف الكلمة: قوله تعالى :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ ﴾ [سورة النساء من الآية: ٢٣]، أي: نكاح أمهاتكم.

ومن أمثلة حذف الجملة قوله تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾ [سورة الأنفال من الآية: ٨]، والتقدير: " فعل ما فعل ليحق الحق". ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام / أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: (٢ / ١٩٠)، تحقيق: د/ عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

ومن أمثلة حذف أكثر من جملة: قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [سورة يوسف من الآيتين: ٤٥، ٤٦]، والتقدير: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف. ينظر: الكشاف: (٢ / ٤٤٨).

(١) علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. الإيضاح في علوم البلاغة: (١ / ٥٢).

(٢) سورة فاطر من الآية: ١٤.

(٣) التحرير والتنوير: (١ / ١٢١، ١٢٢).

وجدير بالذكر أن مناط الابتكار القرآني في أسلوب الإيجاز جاء من جهة تميزه عن غيره من كلام البشر، " وإلا فإن لغة العرب مبنية على أساس الإيجاز، وامتاز كثير من نتاج بلغائهم بسمة الإيجاز إلا أنه امتياز بالنسبة إلى غيره من الكلام البشري " [١].

وقد أشار العلامة الطاهر – رحمه الله – إلى هذا التميّز في إيجاز القرآن في قوله: " إذ كان – مع ما فيه من الإيجاز المُبَيَّن في علم المعاني – فيه إيجاز عظيم آخر هو: صَلُوحِيَّة معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ"[٢] ،يشير إلى وفرة المعاني المُسْتَنْبَطة من أمثلة الإيجاز في القرآن الكريم.

٥ – ومن المبتكرات الأسلوبية القرآنية: أسلوب التضمين ، وهو " يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين : أن يُضَمَّن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ، ويُشار إلى المعنى المُضَمَّن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان " [٣] [٤].

"وصلة التضمين بإيجاز الحذف آتية من حذف أحد الفعلين أو أحد الوصفين،

---

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور: دراسة بلاغية: ص ٣٠٤.

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ١٢١).

(٣) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: (٢ / ٤٩)، وجدير بالذكر أن " حقيقة التضمين النحوي والبياني واحدة، ولا يكاد يُفرَّق بين التضمين النحوي والتضمين البياني إلا من جهة الغاية التي يصوب إليه نظرُ كلٍّ من النحوي والبياني، فالتضمين النحوي: إشراب كلمة معنى كلمة أخرى بحيث تؤدي وظيفتها في التركيب، بغض النظر عن القيمة الجمالية لهذا التركيب. ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: للإمام محمد بن علي الصبَّان الشافعي: (٢ / ١٣٨) ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
وأما البياني فهو مثله إلا أنه يتعدى ليلمح الظاهرة البيانية والعلاقةَ المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. ينظر: التضمين في العربية: للدكتور / أحمد حسن حامد ص ٩٨، ط: دار الشروق – الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٤) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٣).

والإشارة إلى المحذوف بذكر ما يتعلق به من حرف أو معمول؛ فيستفاد معنى الفعل أو الوصف القائم، ومعنى الفعل أو الوصف المضمّن، ففات اللفظ ولم يفت المعنى، وأدى الأسلوب مؤدى كلمتين فتحصَّل المعنيان، وإذا كان أسلوب التضمين معروفًا عند العرب، فإن ما جاء منه في القرآن كان من مميزات نظمه " [١]، "وهو كثير في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ [٢]، فجاء فعل ﴿ أَتَوْاْ ﴾ مضمَّنًا معنى " مرُّوا " فَعُدِّيَ بحرف " على "؛ لأن الإتيان تعدى إلى اسم القرية، والمقصود منه الاعتبار بمآل أهلها، فإنه يقال: أتى أرض بني فلان، ومرّ على حي كذا" [٣].

٦ – ومن المبتكرات الأسلوبية القرآنية: أسلوب الإطناب [٤].

" فقد سلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة [٥] ، ومن أهم مقامات الإطناب : مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروع في قلب

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣١٠.

(٢) سورة الفرقان من الآية: ٤٠.

(٣) التحرير والتنوير: (١ / ١١٣).

(٤) الإطناب هو: أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارات متعارف الأوساط، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل. مفتاح العلوم: ص ٢٧٧، وبعبارة أدق هو: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو: زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: للعلامة / أبي الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير: (٢ / ٢٨٠) تحقيق: د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – بدون تاريخ.

(٥) من هذه الأغراض: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام، والتعظيم والتهويل، وغير ذلك. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للسيد أحمد الهاشمي: ص ٢٠٢، ضبط وتدقيق وتوثيق: د / يوسف الصميلي ، ط : المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – بدون تاريخ .

السامع" [١] [٢].

"ولا ريب أن إدراج أسلوب الإطناب ضمن المبتكرات القرآنية جاء من جهة التميز، ولكن العلامة الطاهر لم يضع أيدينا على خصائص أسلوب الإطناب في القرآن التي تميزه عما جاء منه في كلام العرب، بل اكتفى ببيان مقام واحد من أهم مقاماته – هو مقام توصيف الأحوال –، غير أنا إذا اعتبرنا أن المقام مقام إجمال للمبتكرات الأسلوبية لا يسعه التفصيل والتحليل التمسنا له العذر في تلك الإشارات المجملة، وانتهينا إلى أن رؤية العلامة الطاهر لتميز الإطناب القرآني كانت مرتبطة بخصوصيات النظم، ومقتضيات المقام، ومتطلبات السياق " [٣].

٧ – الابتكار في أسلوب القصة القرآنية:

"فقد سلك القرآن في حكاية القصص أسلوب التوصيف والمحاورة، وذلك أسلوب لم يكن معهودًا للعرب، فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية، شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع، ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه"[٤]، ومن أمثلته: ما ورد في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة، وأهل النار، وأهل الأعراف" [٥] [١].

---

(١) كما في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنۜ رَاقٖ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾ [سورة القيامة الآيات: ٢٦ – ٣٠].

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٣).

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣١٤ – ٣١٦ بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير: (١ / ٦٦).

(٥) من أمثلة ما ورد في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٤٤].

ومن أمثلة ما ورد من وصف أهل النار قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٠].

=

يتبين من خلال هذا النص أن سلوك القرآن في سرد قصصه عن طريق الحوار بين الشخصيات، وتوصيف المتحاورين بأوصاف يُعرفون بها، كأصحاب الأعراف، وأصحاب الجنة، وأصحاب النار، وتمثيل أحوالهم المستقبلية على هذا النمط القصصي المُصَوِّر لتفاصيل ما يدور بينهم عن طريق ذلك الحوار المتنامي، مخالفٌ لما كان معهودًا عند العرب؛ وبالتالي كان الابتكار في السبق والتميز(٢).

٨ – التصرُّف في حكاية الأقوال المحكيّة:

"فيصوغها القرآن على ما يقتضيه أسلوب إعجازه لا على الصيغة التي صدرت فيها، فهو إذا حكى أقوالاً غير عربية صاغ مدلولها في صيغة تبلغ حد الإعجاز بالعربية، وإذا حكى أقوالاً عربية تصرَّف فيها تصرُّفًا يناسب أسلوب المُعَبِّر، مثل ما يحكيه عن العرب فإنه لا يلتزم حكاية ألفاظهم بل يحكي حاصل كلامهم، وللعرب في حكاية الأقوال اتساع مداره على الإحاطة بالمعنى دون التزام الألفاظ، فالإعجاز الثابت للأقوال المحكية في القرآن هو إعجاز للقرآن لا للأقوال المحكية " (٣) (١).

ومن أمثلة ما ورد من وصف أهل الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٤٨].

(١) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠).

(٢) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) من هذا القبيل حكاية الأسماء الواقعة في القصص؛ فإن القرآن يُغَيِّرها إلى ما يناسب حُسْنَ مواقعها في الكلام من الفصاحة، مثل تغيير شاول إلى طالوت، وتغيير اسم تارح أبي إبراهيم إلى آزر. التحرير والتنوير: (١ / ١٢١).

وجدير بالذكر أن القول المحكي قد يكون فيه دليل على أنه محكيّ بالمعنى دون اللفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾ [سورة مريم الآية: ٨٨].

قال العلامة الطاهر ابن عاشور: " وذكر ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ هنا حكاية لقولهم بالمعنى، وهم لا يذكرون اسم الرحمن ولا يقرون به ". التحرير والتنوير: (١٦ / ١٧٠). فإذا لم يكن ثَمَّة دليل بقي الاحتمالان =

فالابتكار إذًا ليس في ابتداع أصل الأسلوب، بل في تميّزه المعجز للبشر قاطبة، وثمة أمور دقيقة يحسن التنبيه عليها في ختام تحليل هذا المبتكر:

١ – تصرُّف القرآن في الأقوال المحكيّة تصرُّفٌ نحو الحقيقة الواقعة، والصدق الثابت ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٢).

٢ – يدخل في تصرُّف القرآن في الأقوال المحكيّة تصرّفه في حكاية مقالة الجماعات من المؤمنين والمنافقين، والكافرين والمبطلين، فنراه يحكي قول جماعة بمقول واحد وكأن قائله واحد، وهذا أبلغ إعجاز(٣).

٩ – استعمال اللفظ المشترك (٤) في معنيين أو معانٍ، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي(٥).

قائمين: الحكاية باللفظ أو الحكاية بالمعنى ، كما في قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [سورة آل عمران من الآية: ١٥٤] . قال العلامة الطاهر ابن عاشور: " فإن كانت حكاية قولهم بلفظه فقد دلّ على أن هذه الكلمة مستعملة عند العرب، وإن كان حكاية بالمعنى فلا ". التحرير والتنوير: (٤ / ٨٣).

(١) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠، ١٢١) .

(٢) سورة النساء من الآية: ١٢٢.

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٣٢.

(٤) اللفظ المشترك: هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء، وإن شئت أن تختصر تعريفه أمكنك أن تقول: المشترك: هو ما اتحدت صورته واختلف معناه. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: (١ / ٢٩٢).

(٥) الحقيقة : اللفظ الدال على موضوعه الأصلي، أو: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب، أما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، أو هو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب؛ لعلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول. ينظر: المثل السائر: (١ / ٨٤)، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة: للإمام يحيى بن حمزة العلوي: (١ / ٢٩، ٣٠)، تحقيق: د / عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

"وجَمْع العلاَّمة الطاهر ابن عاشور لهما في عبارة واحدة أتى باعتبار الابتكار، فهما غير واردين في كلام العرب قبل القرآن أو وقعا بندرة، وهذا سبب تردّد المتصدّين لاستخراج معاني القرآن في قبولهما"(١).

قال العلامة الطاهر ابن عاشور: " قد تجد بعض العلماء يدفع محملاً من محامل بعض آيات القرآن بأنه محمل يُفضي إلى استعمال المشترك في معانيه، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، ويعدون ذلك خطبًا عظيمًا " (٢).

والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني، سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك، والتركيب المشترك بين مختلـــــف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة " (٣).

ومن أمثلة حمل المشترك على معانيه: ما ورد من تفسير العلامة الطاهر– رحمه الله – للنظر في قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ (٤) حيث قال: " فإن أريد بالعاقبة عاقبتهم في الدنيا فالنظر بصري، وإن أريد عاقبتهم في الآخرة كما يقتضيه السياق فالنظر قلبي، ولا مانع من إرادة الأمرين، واستعمال المشترك في المعنيين " (٥).

ومن أمثلة استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه: ما ذكره العلامة الطاهر – رحمه الله – أثناء تفسيره للفعل" دَعْ " في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾ (٦) حيث قال: " يجوز أن يكون فعل ﴿ دَعۡ ﴾ مستعملاً في حقيقته، وتكون إضافة ﴿أَذَىٰهُمۡ﴾

---

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ٩٨).

(٣) المرجع السابق: (١ / ٩٩).

(٤) سورة يونس من الآية: ٧٣، وسورة الصافات الآية: ٧٣.

(٥) التحرير والتنوير: (٢٣ / ١٢٨).

(٦) سورة الأحزاب من الآية: ٤٨.

من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: دع أذاك إياهم، ويجوز أن يكون " دع " مستعملاً مجازًا في عدم الاكتراث وعدم الاغتمام ، فما يقولونه مما يؤذي، ويكون إضافة ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: لا تكترث بما يصدر منهم من أذى إليك، فإنك أجلُّ من الاهتمام بذلك، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه" (١).

ننتهي إلى أن هذا المظهر الأسلوبي انفرد به القرآن تميزًا وإعجازًا، وما يتأتى للعرب أن يأتوا بمثل هذا التوظيف للدلالات الحقيقية والمجازية في نظومهم؛ ولذا رأينا العلامة الطاهر – رحمه الله – ينصرف تمامًا عن مدى وجود تلك الأساليب في كلام العرب (٢).

١٠ – ومن المبتكرات الأسلوبية القرآنيـــة: الإتيان بالألفاظ التي تختلف معانيها باختلاف حروفها، أو اختلاف حركات حروفها (٣).

وقد ذكر العلامة الطاهر ابن عاشور " أن مما يرجع إلى هذا الأصل القراءات المتواترة (٤) إذا اختلفت اختلافًا يُفضي إلى اختلاف المعاني " (٥).

"ومن المعلوم أن القراءات القرآنية شيء لم تعرفه العرب في كلامها، ولم يحدثنا التاريخ عن بليغ نظم كلامًا واحدًا يُقرأ بأكثر من وجه كما نزل القرآن الكريم بقراءاته

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٢ / ٥٨) بتصرف.

(٢) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٤٠.

(٣) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٤).

(٤) القراءة المتواترة: هي كل قراءة وافقت العربية مطلقًا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا، وتواتر نقلها. منجد المقرئين ومرشد الطالبين: للإمام العلامة / محمد بن محمد ابن الجزَري: ص ١٨، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، والحق أن القراءة المتواترة غنية عن هذه الشروط ؛ لأن تواترها يجعلها حجة في العربية ، ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه. التحرير والتنوير (١ / ٥٣).

(٥) التحرير والتنوير: (١ / ٩٦).

المتواترة على نبينا (صلى الله عليه وسلم)، وعليه فإن أول ما يمكن ملاحظته هو أن ابتكار هذا الأسلوب يأتي ضمن دائرة أرحب من اختلاف الكلمات في حروفها وحركاتها؛ إذ اختلاف القراءات بتجاوز حروف الكلمة وصيغتها إلى الاختلاف في المواقع الإعرابية للتراكيب؛ مما يحدث للكلام الواحد أنماطًا تعبيرية مختلفة، وكل هذا يعدّ بابًا فسيحًا من أبواب ثراء معاني القرآن، وعجيب إعجازه، وحيث كان أصل اختلاف القراءات راجعًا إلى الكلمة اكتفى العلامة الطاهر– رحمه الله– بها، وجعل إتيان القرآن بالكلمات التي تختلف معانيها باختلاف حروفها أو حركات حروفها أسلوبًا مبتكرًا، وعدّ ذلك سببًا لاختلاف القراءات، فالعبرة إذًا بكل اختلاف أدى إلى تعدد المعنى وتكاثره، وهو المقصود من الابتكار " [١].

ومن أمثلة هذا المبتكر: قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [٢] حيث قرئ "يَكْذِبُون" بفتح أوله، وتخفيف الذال، و" يُكَذِّبون " بضم أوله وتشديد الذال [٣].

والمراد من هاتين القراءتين: تفصيل في وصف المنافقين بصفتين تفهمان من القراءتين معًا، الأولى: أنهم كانوا يكذبون في أخبارهم، وهذه من قراءة التخفيف.

---

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٤١ – ٣٤٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف والحسن والأعمش " يَكذبون " بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " يُكذّبون " بضم الياء وتشديد الذال.
ينظر: السبعة في القراءات: للإمام / أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ص ١٤٣، تحقيق د / شوقي ضيف، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ، والنشر في القراءات العشر: للإمام / شمس الدين ابن الجزري: (٢ / ٢٠٧، ٢٠٨)، تحقيق: علي محمد الضباع، ط: المطبعة التجارية الكبرى – بدون تاريخ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: للعلامة الشيخ / أحمد بن محمد البنا: ص١٧٠، تحقيق: أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

والثانية: أنهم كانوا يكذّبون النبيّ فيما جاء به، وهذه من قراءة التشديد [١].

فالمقصود كذبهم في إظهار الإيمان، وفي جعل أنفسهم المصلحين دون المؤمنين [٢].

يتضح من خلال هذا المثال أن كل قراءة من القراءتين تفيد معنى جديدًا يتناغم ويتطابق مع المعنى المستنبط من القراءة الأخرى، وهذا من مبتكرات القرآن.

١١ – ومن المبتكرات الأسلوبية القرآنية: وضوح الأمثال [٣] وإبداع تركيبها.

" فقد كان في أدب العرب الأمثال، وهي حكاية أحوال مرموز لها بتلك الجمل البليغة التي قيلت فيها، أو قيلت لها، المسمّاة بالأمثال، فكانت تلك الجمل مشيرة إلى تلك الأحوال، إلا أنها لما تداولتها الألسن في الاستعمال وطال عليها الأمد نُسِيَت الأحوال التي وردت فيها، ولم يبق للأذهان عند النطق بها إلا الشعور بمغازيها التي تقال لأجلها.

---

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: للإمام / أبي محمد مكي بن أبي طالب (٢٢٨/١، ٢٢٩) تحقيق د / محي الدين رمضان، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ٢٨٣).

(٣) الأمثال جمع: المَثَل، والمَثَل في اللغة يطلق على النظير والشبيه. ينظر: لسان العرب (١١ / ٦١٠) مادة (مثل)، ولما كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

أما استعارته للحال فكقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٧] أي: حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد نارًا، وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [سورة النحل من الآية: ٦٠] أي الوصف الذي له شأن، وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الرعد من الآية: ٣٥، وسورة محمد من الآية: ١٥]، أي: فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة.

البرهان في علوم القرآن: للإمام / محمد بن بهادر الزركشي: (١ / ٤٨٨، ٤٨٩)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

أما القرآن فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها، كقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ (١) (٢).

وجدير بالذكر أن مناط الابتكار في الأمثال القرآنية جاء من جهة تميّزها على غيرها من أمثال العرب، وقد أشار العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – إلى ذلك في قوله: " أما القرآن فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها " (٣)، " وهما صفتان – وضوح الأمثال، والإبداع في تركيبها – تستوعبان اللفظ والمعنى والنظم " (٤).

" والذي أراه أنه كلما زاد التفصيل في التشبيه التمثيلي في القرآن (٥) كان قرينة داخلية على عدم وجود نظير له في كلام العرب من حيث معناه العام، ذاك أن التفصيل تتفاضل فيه القُدَر، وتتسابق إليه الملكات، وهو أساس يقوم عليه جودة التشبيه، ولا يمكن أن نتصور سبق العرب إلى مثل هذه التشبيهات القرآنية التمثيلية، بخلاف ما إذا كان التشبيه مفردًا أو قليل التفصيل، فلا يبعد أن تجد ما يوافق التشبيه القرآني في معناه العام، كأن تجد من يشبه السفن في البحر بالأعلام – الجبال – قبل نزول الآية: ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾ (٦)، وهذا لا يحط بالتشبيه القرآني المفرد وما شابهه أو ينال

---

(١) سورة إبراهيم من الآية: ١٨، والآية الكريمة تشبيه لما كان يعمله الكافرون في الدنيا من أعمال الخير بالرماد الذي تأتي عليه الريح فتجعله هباء منثورًا، ووجه الشبه: عدم الانتفاع في كلتا الحالتين، فكما أن الريح تفرّق الرماد وتُصيّره هباء منثورًا كذلك أعمال الكافرين في الآخرة لا قيمة لها ولا طائل تحتها.

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ١٢١).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٨٣.

(٥) كما في المثال الذي استشهد به العلامة الطاهر ابن عاشور، وهو قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾.[سورة إبراهيم من الآية: ١٨].

(٦) سورة الرحمن الآية: ٢٤.

من قدره، وما تشابه من الأمثال القرآنية مع شيء من أمثال العرب فلا يرقى لأن يتفق معه من كل وجه، وربما تفردت الأمثال العربية التي جرت مجرى المثل من بين أنواع الأمثال بصفة الانتشار والذيوع، وعدم نسبتها – في الأعم الأغلب – إلى قائل معين؛ مما صعَّب من تحديد زمن ولادتها، خاصة تلك التي لم تُبن على قصة أو لم تنسَلْ من بيت شعري؛ ولذا نحن عاجزون عن القول بالابتكار من عدمه في الأمثال القرآنية التي شابهت أمثالاً عند العرب [١]، لكن نختم بما هو مقرر معلوم، وهو أن أمثال القرآن كافة أمثال إلهية، فالله نسبها إلى نفسه في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٣]، وهي – كغيرها – من كلام الله نظمًا ومعنى " [٤].

١٢ – ومن الأساليب القرآنية المبتكرة: أسلوب الجزالة والرقة، ولا تخلو سورة من القرآن من تكرر هذين الأسلوبين [٥]، وكل منهما بالغٌ غايته في موقعه، فمن الرقة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٦] ، ومن الجزالة قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [٧] [٨].

---

(١) كما في المثل القرآني ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٧٩] مع المثل العربي: القتل أنفى للقتل.

(٢) سورة الرعد من الآية: ١٧.

(٣) سورة إبراهيم من الآية: ٢٥.

(٤) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٨٠ – ٣٨٤ بتصرف.

(٥) جدير بالذكر أن بعض السور القرآنية انفردت بأسلوب واحد فقط من الأسلوبين – الجزالة والرقة – ، كما في سورتي الهمزة والمسد، فإنهما قد انفردتا بأسلوب الجزالة فقط.

(٦) سورة الزمر الآية: ٥٣.

(٧) سورة فصلت الآية: ١٣.

(٨) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٤).

قبل الشروع في بيان مناط الابتكار في هذين الأسلوبين يجدر بنا أن نحدد المراد منهما، وقد كفانا العلامة الطاهر ابن عاشور مؤونة البحث عنهما، حيث عرّف الجزالة بأنها: " كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ – الكاتب أو الشاعر – ألفاظًا متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء، سالمة من ضعف المعنى، ومن أثر ضعف التفكير، ومن التكلف، ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة أو بالكلام، فهذه الجزالة صفة مدح [١]، وهي – هنا – مختصة بما يقابل الركيك والضعف والكراهة، وأما إذا قابلوا الجزالة بالرقة فإنما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة، ويريدون بالرقة: نسجه على منوال المُحْدَثِين في اللين والظرف، يتضح أن الجزالة تتعاورها صفة المدح المطلق بمقابلتها لصفات الركاكة والضعف والكراهة، وصفة المدح المقيد بصفة الشدة والقوة بمقابلتها بالرقة، وهي في كل هذا صفات للفظ باعتبار المعنى، ومرجعها إلى معنى اللفظ المركب أو المفرد، لا إلى مبناه وصورته " [٢]، والذي يعنينا هنا الجزالة التي تقابل الرقة.

وقد وضّح العلامة الطاهر المراد منهما بعبارة أدق وأوسع في كتابه " الإنشاء والخطابة" حيث قال: "الجزالة: شدة في المعنى تقرب من حدّ التخويف أو تبلغه، بحيث تؤذن بعدم مبالاة المتكلم باستعطاف المخاطب ، ولا بملاينته، ولها مواقع: الغضب، والحماسة، والوعظ، والعتاب، ونحوها " [٣]، أما الرقة فهي: غاية إيضاح لطيف الوجدان من المتكلم، أو التلطف مع السامع، ولها مواقع: الشوق، والرثاء، والاعتذار، والتأديب " [٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مناط الابتكار في هذين الأسلوبين يرجع إلى تميزهما عما ورد منهما في كلام العرب.

---

(١) شرح المقدمة الأدبية: ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٢.

(٣) أصول الإنشاء والخطابة: ص ٢٧.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

ومن ثَمَّ قال العلامة الطاهر – رحمه الله –: " وكل منهما بالغ غايته في موقعه"[١]، "وبالتالي أعاد مناط الابتكار إلى التميّز المقامي، بحيث لا يحل أحدهما محل الآخر، ولا يتحقق الغرض المقصـــود إلا بسلوك أسلوب الجزالـــة والقوة في المقام الذي يقتضيه، وكذلك أسلوب الرقة، وقد ألّف القرآن بينهما فـــي سياق واحد، وصيّرهما أشد ائتلافًا وألطف انتظامًا في السورة الواحدة، فترى الوعد يتلو الوعيد، والعذاب يتبع النعيم، ومعاني الرحمة تردف بمعاني الغضب، وإهلاك المكذبين يقارن بإنجاء المؤمنين، فما تلمح تفاوتًا في استواء الأسلوب، ولعل هذا هو مراد العلامة الطاهر– رحمه الله – من ميزة تكرار الأسلوبين في كل سورة، ومقدار نقص بلاغة البشر عن البيان المعجز متأتٍ من النقص في تحقيق كمال هذا المعيار [٢].

هذه بعض وجوه الابتكار في الأسلوب القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور، وجدير بالذكر أن "سبق القرآن لهذه الأساليب لم يكن في الوجود المطلق، فالقرآن جاء على طرائق العرب وأساليبهم، وإنما كان الابتكار في التميز والإعجاز، والعلامة الطاهر ابن عاشور كان على وعي وبصيرة حينما سرد المبتكرات ، ففي أساليب كثيرة أثبت الوجود في كلام العرب، وأعقبه بالتميُّز الابتكاري في القرآن " [٣] [٤] ؛ومن ثَمَّ يمكن أن نطلق على هذا النوع اسم "ابتكار التميّز ".

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ المبتكرات القرآنية غير مقتصرة على ما تقدّم، بل ثمة مبتكرات قرآنية أخرى ذكرها العلامة الطاهر ابن عاشور في ثنايا تفسيره "التحرير والتنوير" متعلقة بالألفاظ، والتراكيب، والمحسنات البديعية، وهذه المبتكرات من الممكن أن نطلق عليها اسم " مبتكرات السبق ".

---

(١) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٤).

(٢) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٣٢٤، ٣٢٥ بتصرف.

(٣) كما في أسلوب الإيجاز، وأسلوب القصة، وأسلوب التمثيل، وأسلوب الجزالة والرقة.

(٤) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٨٩.

مما سبق بيانه يتضح أن الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – على صورتين:

الأولى: ما اختص به أسلوب القرآن من مميزات تميّز بها نظمه عن كلام العرب، سواء أكان هذا التميّز سبقًا جديدًا، أم كان تصرّفًا بديعًا، فمن الأول: مجيء نظم القرآن على طريقة مبتكرة مخالفة لأسلوبي الشعر والخطابة، وأسلوب التقسيم والتسوير، ومن الثاني: أسلوب الإيجاز، وأسلوب الإطناب، والتصرف في حكاية الأقوال المحكية، ووضوح الأمثال وإبداع تركيبها، وهذه الصورة يمكن أن نطلق عليها – كما ذكرت – اسم " مبتكرات التميّز ".

الثانية: ما سبق إليه القرآن من ألفاظ ومعان وتراكيب وأساليب لم تكن معهودة عند العرب، وهذه الصورة يمكن أن نطلق عليها – كما ذكرت – اسم "مبتكرات السّبق"[(١)].

(١) ينظر: مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٤٨٩.

المبحث الخامس
معايير الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور

باستقراء تفسير التحرير والتنوير، وتتبع المواضع التي ورد فيها مصطلح "مبتكرات القرآن" أستطيع أن أقول: إن حكم العلامة الطاهر – رحمه الله – على المبتكرات القرآنية بالابتكار قائم على معايير وأسس، منها ما يرجع إلى الحاكم بالابتكار، ومنها ما يرجع إلى المُبْتَكَر ذاته.

فمن المعايير التي ترجع إلى الحاكم بالابتكار ما يلي:

١ – الاستقراء الناقص لتعذّر التام [١]:

يُعَدُّ هذا المعيار من أهم معايير الابتكار، فالمبتكرات القرآنية لا حصر لها؛ ومن ثَمَّ فالمبتكرات القرآنية التي ذكرها العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في تحريره وتنويره جزء من كل المبتكرات التي وردت في القرآن الكريم.

"فالابتكار القرآني الذي يدل على الجدة المطلقة يدخل فيه كل ما ذكره العلماء من أوجه الإعجاز البلاغية التي سبق إليها القرآن، وسما بها على كلام العرب، ودائرة الحديث عن هذا المفهوم مضمنة في دائرة هي أكبر من قصر الحديث عن أصحاب الإعجاز، أو حتى عمن ألف في البلاغة بصفة عامة، بل الأمر يتعدى ليحوي كل من قال في بلاغة القرآن حرفًا، فلا مجال لبحثه – هنا – لسَعَته.

والمراد – هنا – هو ابتكار المعاني التي كانت مطروحة أمام العرب، وسبقهم القرآن إليها، ولم تكن من قبيل المصطلحات الشرعية الجديدة على العرب الخاصة بالعقائد والشعائر[٢] [٣] .

"وبما أن طبيعة الحكم بالابتكار في البيان القرآني يقتضي الإلمام بالتراث الشعري

---

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٣٧.

(٢) سمّى العلامة الطاهر – رحمه الله – هذه المصطلحات: " مصطلحات القرآن ".

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٥٦.

والنثري قبل القرآن وحال نزوله، وبما أن ما ضاع من أشعار العرب ومنثورهم أكثر مما بقي، كما قال أبو عمرو بن العلاء [١]: " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير"[٢]، فإن الجزم بالابتكار أمر متعذر، وغير متوفر لأحد، بل إن الإقدام على اقتحام هذا الباب لا يتأتى إلا لمن أمسك بعلم جم، وحافظة قوية، واطلاع واسع ، كل ذلك كان في ذهن العلامة الطاهر – رحمه الله – وهو يقتحم هذا الباب ، فالتزم كلمات ظنية وعبارات احتمالية [٣] ، من شأنها أن تهون عليه هذا الإقدام ، وتترك مساحة للقارئ من بعده في النظر في المبتكرات لعله يجد شيئًا فيها" [٤].

٢ – نسبية عدم الوجود قبل القرآن:

"من ينظر إلى مفهوم الابتكار[٥] يجد أن هذا المعيار هو مناط الابتكار وماهيته، وجدة المعاني والألفاظ والتراكيب والأساليب آتية من النظر القَبْلي لها، فلا جرم أن يبرز هذا المعيار في جميع المبتكرات عند العلامة الطاهر ابن عاشور وأن ينص عليه نصًّا لا لبس فيه، فبتحققه يتحقق الابتكار، وبتخلّفه يتخلّف الابتكار.

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: هو الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً، فقيل: ربان، وقيل: زبّان، وقيل: يحيى، والصحيح أنه زبَّان، ولد بمكة سنة ثمان أو خمس وستين، ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للإمام / شمس الدين أبي عبد الله الذهبي: ص ٥٨ – ٦٢، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ومعجم الأدباء " إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ": للإمام/ أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: (٣ / ١٣١٧ – ١٣٢١)، تحقيق: د / إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٢) طبقات فحول الشعراء: للإمام / أبي عبد الله محمد بن سلاّم الجمحي: (١ / ٢٥)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط: دار المدني – جدة – بدون تاريخ.

(٣) سنتعرف عليها – إن شاء الله تعالى – في المبحث السادس من هذا البحث.

(٤) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٣٧.

(٥) سبق الحديث عن مفهوم الابتكار اللغوي والاصطلاحي والقرآني في المبحث الأول والثالث من هذا البحث.

قال العلامة الطاهر ابن عاشور: "وقد تتبعت أساليب من أساليب نظم الكلام في القرآن فوجدتها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب"(١).

على أن الوجود قبل القرآن يستلزم أصلاً يرجع إليه، فليس من المعقول أن ينسحب هذا المعيار إلى عصر سيّدنا آدم وبدء الخليقة؛ إذ حديث العلامة الطاهر ابن عاشور عن كلام العرب قبل القرآن، فحينئذ نحن أمام أصلين لا ثالث لهما وجَّه العلامة الطاهر ابن عاشور نظره إليهما، وهذا الاعتبار معتبر إذا أخذنا أن المبتكرات لغوية من ساسها إلى رأسها، وأن العلامة الطاهر إنما يستخرج الضدين: ما وافق القرآن فيه كلام العرب (٢)، وما ابتكره القرآن في كلام العرب" (٣).

قال – رحمه الله –: "وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي، وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها"(٤).

ومن ثَمَّ "فإن القول بوجود المبتكرات في القرآن ليس سهلاً، بل يتطلب علمًا موسوعيًّا بكلام العرب شعره ونثره، وليس بمقدور أحد من البشر أن يجمع كل كلام العرب، وعليه فإن الحكم على كلام بأنه مبتكر إنما يكون بغلبة الظن بأن هذا الأسلوب أو التعبير لم تستخدمه العرب في حدود ما بلغ هذا القائل من كلام العرب، وهذا يجعلنا

---

(١) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٢، ١٢٣).

(٢) من أمثلة ما ذكره العلامة الطاهر ابن عاشور فيما وافق القرآن فيه كلام العرب: ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٨٧] حيث قال: " هذه الجملة استعارة أحياها القرآن " التحرير والتنوير: (٢ / ١٨٢)، وكذا ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ [سورة الدخان الآية: ٢٩]، حيث قال: " وكان من كلام العرب إذا هلك عظيم أن يُهَوِّلوا أمر موته بنحو: بكت عليه السماء، وبكته الريح، وتزلزلت الجبال. التحرير والتنوير: (٢٥ / ٣٠٣).

(٣) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٤٥.

(٤) التحرير والتنوير: (١ / ١١٥).

ندرك سر عزوف العلماء عن الاشتغال في هذا النوع من علوم اللغـــــة والبلاغة، مع أهميته في التدليل على إعجاز القرآن، وعليه فإن قول العلامة الطاهر ابن عاشور عن وجه من وجوه الكلام إنه مبتكر، وإن العرب لم تستخدمه يبقى حكمًا نسبيًا، ولا يعدو أن يكون في حدود ما وصله هو " [١].

ومن ثَمَّ كان العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – محتاطًا في الحكم على المبتكر القرآني بالابتكار، فقد كان يُصَدّر الحكم عليه – في الغالب – بصيغ وعبارات تفيد الظن والاحتمال " [٢].

هذان المعياران من أهم المعايير التي ترجع إلى الحاكم بالابتكار، أما المعايير الأخرى التي ترجع إلى المُبْتَكَر ذاته فمنها ما يلي:

١ – تميُّز المُبتَكَر :

المبتكرات القرآنية في ذاتها مزية تفوّق بها القرآن على كلام العرب، وهذا التميّز يرجع إلى مدى إبداع القرآن الكريم في مفرداته، وتراكيبه، وأساليبه، ومعانيه.

ومن ثَمَّ بدأ العلاّمة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – مقدمته التي عقدها للمبتكرات بقوله: "هذا وللقرآن مبتكرات تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب"[٣]، ثم سرد هذه المبتكرات مبينًا وجوه الإعجاز فيها[٤].

أما المبتكرات الأخرى المنثورة في ثنايا تفسيره، فمعيار التميّز متحقق فيها – أيضًا –، فعلى سبيل المثال حين تحدث – رحمه الله – عما يجري مجرى المثل في قوله تعالى:

---

(١) مبتكرات القرآن عند ابن عاشور دراسة نقدية مقارنة: ص ٨٠ بتصرف.

(٢) نتعرف – إن شاء الله تعالى – على الصيغ التي استعملها العلامة الطاهر ابن عاشور في الحكم على المبتكر في المبحث التالي: " طريقة العلامة الطاهر ابن عاشور في إيراد مصطلح مبتكرات القرآن.

(٣) التحرير والتنوير: (١ / ١٢٠).

(٤) ينظر: المبحث الرابع من هذا البحث.

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [١]، قال: " وهذا يجري مجرى المثل، ولعله من مبتكرات القرآن، نظير قول العرب " على الخبير سَقَطْت [٢]، يقولها العارف بالشيء إذا سُئل عنه، والمثلان وإن تساويا في عدد الحروف المنطوق بها فالمثل القرآني أفصح لسلامته من ثقل تلاقي القاف والطاء والتاء في " سَقَطْتَ "، وهو – أيضًا – أشرفُ لسلامته من معنى السقوط، وهو أبلغُ معنى لما فيه من عموم كل خبير، بخلاف قولهم: على الخبير سَقَطْتَ؛ لأنها إنما يقولها الواحد المُعَيَّن " [٣].

فانظر كيف علّل للمبتكَر القرآني بذكر تميّزه على غيره من المثل العربي !!

ومن ثَمَّ " يتضح أن التميّز داع للقول بالابتكار عند العلامة الطاهر ابن عاشور، سواء أظهر هذا التميّز أو لم يظهره، وهو معيارٌ فَتَح على العلامة الطاهر ابن عاشور أبواب التأمل والتدبر في المبتكرات، وأرشده لاستنبات النكات البلاغية الدقيقة، فمع جدة المبتكرات لم يغفل الإمام الطاهر ابن عاشور سياقاتها، وطريقة أدائها[٤].

(٢) انتشار المبتكر بعد القرآن:

من المعلوم أن القرآن أثَّر في لغة العرب تأثيرًا كبيرًا ،" فقد بثّ لأهلها روح البلاغة، وأعطاهم حياة لغوية جديدة، فما التُمس بيان أرفع منه، ولا اتبع كلام أرقى

---

(١) سورة الفرقان من الآية: ٥٩.

(٢) هذا مَثَلٌ قيل إنه لمالك بن جُبير العامري، وكان من حكماء العرب، وتمثّل به الفرزدق للحسين بن علي – رضي الله عنهما – حين أقبل يريد العراق، فلقيه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين – رضي الله عنه –: ما وراءك ؟ قال: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء، فقال الحسين – رضي الله عنه –: صدقتني. ينظر: مجمع الأمثال للميداني: (٢ / ٢٤)، ومعنى " على الخبير سقطت ": أي: إنك سألت عن الأمر الخبير به. ينظر: جمهرة الأمثال: للإمام / أبي هلال العسكري: (٢ / ٤٦)، ط: دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.

(٣) التحرير والتنوير: (١٩ / ٦١).

(٤) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٥١.

منه، فالبلغاء من بعده تستقي منه ولا تدانيه، وتنتقي منه ولا تباريه، فلا جرم أن يرفع اسمه، ويعلي قدره، ثم إن ابن عاشور تجاه المبتكرات آخذ بهـــذا النظر البَعْدي الذي أحدثته – أي المبتكرات – في كلام العرب – وإن كان بقلة مقارنة بنظره القَبْلي –، فشيوع هذا الإطلاق، أو ذاك المثل، أو تلك الاستعارة [١] آية على تأثر الأدباء والشعراء بالمبتكرات القرآنية [٢].

قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [٣] : الأوزار : الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحَمَّال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن، وأخذ منه عبد ربه السُّلَمِي [٤]، أو سُلَيْم الحنفي [٥] قوله :

فألقَـــتْ عصـــاها واســـتقرَّ بهـــا النّـــوى كمـــا قَـــرَّ عينًـــا بالإيـــاب المســـافرُ [٦]

---

(١) الاستعارة: اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضعه له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من أن يكون المراد المعنى الأصلي، كأسد في قولنا: رأيت أسدًا يرمي، فأسد استعارة؛ لأنه لفظ استعمل في شجاع شُبّه بالأسد الذي هو الحيوان المفترس. ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: (١ / ٢٤٣).

(٢) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٤٧.

(٣) سورة محمد من الآية: ٤.

(٤) عبد ربه السُّلَمِي: هو راشد بن عبد ربه السلمي، كان اسمه غويًّا فسمّاه النبي (صلى الله عليه وسلم) راشدًا، قال المدائني: هو صاحب البيت المشهور: فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النّوى.. كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافرُ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ / شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: (٢ / ٣٦١)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٥هـــ، ومعجم الشعراء: للإمام / أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: ص ٢٠٤،بتصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور/ ف. كرنكو، ط: مكتبة المقدسي، ودار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـــ – ١٩٨٢م.

(٥) سُلَيْم الحنفي: لم أقف على ترجمته، لكن مما تجدر الإشارة إليه أن العلامة ابن منظور ذكره في لسان العرب (١٥ / ٦٥) ونسب إليه البيت: فألقتْ عصاها واستقر بها النوى...، وسمّاه: سليم بن ثمامة الحنفي.

(٦) اختلف العلماء في نسبة هذا البيت ، فنسبه ابن برّي كما في لسان العرب (١٥ / ٦٥) مادة (عصا) =

فشبّه حالة المنتهي من كُلْفَةٍ بحالة السائر يُلقي عصاه التي استصحبها في سَيْره"[١]

فالعلامة الطاهر – رحمه الله – أشار في هذا الموضع إلى من استفاد من الشعراء من هذا المعنى القرآني المبتكر.

"ولكن هل اتخذ العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – معيار الانتشار بعد القرآن دليلاً على ابتكار القرآن له ؟

إن المعتمد في الابتكار – كما تقدَّم – هو النظر القَبْلي للمبتكَر، غير أن انتشار المعنى الابتكاري فيه ملمح خفي على ابتكار القرآن له؛ إذ تطلُّب الأولية في المعنى

= إلى عبد ربه السلمي، أو سليم بن ثمامة الحنفي، ونسبه العلامة الجاحظ في البيان والتبيين (٣ / ٢٧) إلى مضرّس بن ربعي الأسدي، ط: دار ومكتبة الهلال – بيروت – ط سنة: ١٤٢٣هـ.

بينما نسبه الإمام مرتضى الزبيدي في " تاج العروس من جواهر القاموس " تارة إلى مُعَقِّر بن حمار البارقي أو عبد ربه السلمي (٣٩ / ٥٤) مادة (عصو)، وتارة إلى الطِّرِمَّاح بن حكيم (٤٠ / ١٤٠) مادة (نوى)، ط: مطبعة حكومة الكويت، ط سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

وتردّد في نسبته كذلك صاحب العقد الفريد، فنسبه تارة إلى راشد بن عبد ربه السلمي (١ / ٣٠٨)، وتارة أخرى إلى مُعَقِّر بن حمار البارقي (٦ / ١٣)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

وأكثر المصادر على أن البيت منسوب لمُعَقِّر بن حمار البارقي، كما في: معجم الشعراء: ص ٩، والاشتقاق: للإمام / أبي بكر ابن دريد: ص ٤٨١، تحقيق وشرح: د / عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل – بيروت– لبنان– الطبعة الأولى: ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ومجمع الأمثال للميداني: (١ / ٣٦٤)، والمؤتلف والمختلف: للإمام/ أبي القاسم الآمدي: ص ١١٥، ١١٦، تحقيق: الأستاذ الدكتور/ ف. كرنكو، ط: دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

"والذي يُظنّ أن مُبتدئَه هو: مُعَقِّر البارقي، ومن عداه إنما ضمنه في شعره ". مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ٤٥٢.

وهذا البيت يلتقي مع المعنى القرآني المبتكر في التعبير عن انتهاء العمل في كل منهما، بإلقاء العامل ما كان يحمل من أثقال، هذه الأثقال هي آلات الحرب للمحارب، والعصا بالنسبة للمسافر.

(١) التحرير والتنوير: (٢٦ / ٨٢).

المشترك دافع لمعرفة السابق له، وانتشار المعنى بعد نزول القرآن إذا ضممته مع معيار عدم الوجود قبل القرآن مقربان لتحقق الابتكار القرآني، فربما كان في ذهن العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – وهو يحكم بالابتكار – متابعات الشعراء للمبتكرات القرآنية، ولكنه صرف همّه لما قبلها تقديمًا للأهمّ، وإلا فشعر العرب ومنثورهم زاخران بالاستفادة من المعاني القرآنية في شتى صورها، يدرك ذلك من شدَّ شيئًا من أدب العرب بعد القرآن، وهذا المعيار يؤخذ من فحوى كلام ابن عاشور، وهو مفتقر كمعيار عدم الوجود قبل القرآن، فبهما استخرج العلامة الطاهر ابن عاشور المبتكرات، وعليهما ارتكز عمله تجاه الشواهد الشعرية بصفة عامة، ولابد من التنبيه إلى أن المبتكرات لصيقة بثقافة العلامة الطاهر ابن عاشور الشعرية والنثرية ؛ ولذا كان هذا المعيار البَعْدي مستترًا خلف المعيار القَبْلي، ولولا هذه العبرة لما ذكر هنا [(١)].

هذه بعض المعايير التي استند إليها العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في حكمه على المبتكرات القرآنية، وقد تكون هناك معايير أخرى يفتح الله بها على بعض أولي العلم والفهم، لكن مما تجدر الإشارة إليه أنّ العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – قد جعل من معياري نسبية عدم الوجود قبل القرآن، وانتشار المبتكَر بعد القرآن أساسًا في حكمه على مبتكرات السّبق، أما مبتكرات التميّز فجعل معيار تميّز المبتكَر على كلام العرب هو الأساس في حكمه عليها.

(١) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٤٨، ١٤٩ بتصرف.

المبحـــث الســـادس
طريقة العلامة الطاهر ابن عاشور في إيراد مصطلح « مبتكرات القرآن »

سلك العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – مسلكًا واضحًا وطريقة مميّزة في إيراده لمصطلح " مبتكرات القرآن "، تكمن هذه الطريقة فيما يلي:

أولاً: يستخدم – رحمه الله – في الدلالة على المبتكر القرآني – في الغالب – كلمات وعبارات تفيد الظن والاحتمال، من هذه الكلمات والعبارات ما يلي:

١ – الفعل " أحسب "، ومن الأمثلة الدالة على استخدامه لهذا الفعل:

أ – ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [(١)] حيث قال: " وأحسب أن مثل هذا التركيب من مبتكر أساليب القرآن[(٢)].

ب – وما جاء عند تفسيره للفظ "الجاهلية " في قوله تعالى: ﴿ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [(٣)] حيث قال: " وأحسب أن لفظ " الجاهلية " من مبتكرات القرآن" [(٤)].

٢ – الفعل " يحتمل " الذي يدل على أن المبتكر القرآني أحد الاحتمالات الواردة، ومن النماذج الدالة على استخدامه لهذا الفعل: ما ورد عند تفسيره للفظ "الصبغة " في قوله تعالى: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ [(٥)]، حيث قال: "وإطلاق اسم الصبغة على المعموديَّة[(٦)] يُحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن، ويُحتمل أن

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٤٠.

(٢) التحرير والتنوير: (١ / ٤٥٧).

(٣) سورة آل عمران من الآية: ١٥٤.

(٤) التحرير والتنوير: (٤ / ١٣٦).

(٥) سورة البقرة من الآية: ١٣٨.

(٦) صفة المعموديَّة عند النصارى تكمن في " أن الذي يريد أن يدخل في دينهم أو التائب منهم تتقدّم الأقسّة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أيامًا ، ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلَّم ذلك اجتمع له =

يكون نصارى العرب سمُّوا ذلك الغسل صبغة"[١].

٣ – الحرف " لعل " – بمعنى عسى أو بمعنى ظن وحسب –، ومن الأمثلة الدالة على استخدامه لهذا الحرف:

أ – ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [٢]، حيث قال: " وهذه الجملة تجري مجرى المثل؛ إذ رُكِّبَتْ تركيبًا وجيزًا محذوفًا منه بعض الكلمات، ولم أظفر فيما حفظتُ من غير القرآن بأنها كانت مستعملة عند العرب، فلعلّها من مبتكرات القرآن " [٣].

ب – ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [٤]، حيث قال: " وهذا التركيب لا أعهد سَبْقَ مثله في كلام العرب، فلعلّه من مبتكرات

= القسّيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم، ثم يغطسونه في ماء يغمروه، وقد اختلفوا هل يغطّسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثًا ؟ فإذا هو خرج من ذلك الماء دعا له الأسقف بالبركة ووضع يده على رأسه، هكذا كانت صفة معموديتهم قديمًا في الأندلس، وأما اليوم فلعلّهم قد غيَّروا بعض أحكامها، وربما اختلفوا في بعض تلك الأحوال، وهي عندهم عبادة مؤكّدة، وقاعدة ممهّدة. ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: للإمام / شمس الدين أبي عبد الله القرطبي: ص ٤٠٣، تحقيق: د / أحمد حجازي السقا، ط: دار التراث العربي – القاهرة – بدون تاريخ.

وقيل: ترمز المعمودية إلى الموت والقيامة؛ وذلك بأن ينزل رجل الدين إلى الماء مع الشخص الذي يريد تعميده، فيغطّسه في الماء ثم يخرجه، وبذا تنتهي الحياة الخاطئة وتبدأ الحياة الجديدة، وهي تُسمى الميلاد الثاني. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة: د / مانع بن حماد الجهني: (٢ / ٦٤٢) ط: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الرابعة: ١٤٢٠هـ.

(١) التحرير والتنوير: (١ / ٧٤٣).

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: (٤ / ٨٣).

(٤) سورة إبراهيم من الآية: ٩.

القرآن " [١].

٤ – لفظ " الظاهر " الذي يدل على الظهور والرجحان، ومن أمثلة استخدامه لهذا اللفظ : ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [٢]، حيث قال: " والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن " [٣].

٥ – وأحيانًا يُعبّر – رحمه الله – عن المبتكر القرآني في صورة شرط وجوابه، ومن النماذج الدالة على هذا النمط: ما ذكره – رحمه الله – عند تفسيره للفظ " الإلهام " في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [٤]، حيث قال: فهذا اللفظ إن لم يكن من مبتكرات القرآن يكُن مما أحياه القرآن " [٥].

ثانيًا : وتارة يُعبّر عن المبتكر القرآني من غير ظن ولا احتمال، ومن النماذج الدالة على هذا النمط:

أ – ما ذكره – رحمه الله في مقدمة تفسيره التي عقدها عن المبتكرات القرآنية، حيث قال: " هذا وللقرآن مبتكرات تميّز بها نظمه عن بقية كلام العرب " [٦].

في هذا الموضع يعبّر – رحمه الله – عن المبتكرات القرآنية من غير ظن ولا احتمال؛ "ذلك أن سبيل هذه المبتكرات هو الإعجاز، فليس ثمة شك في تفرّد القرآن بها، وهي نتاج النظم القرآني الذي أجمع المحققون من أهل العلم أنه المعجز للعرب، المخالف لكلامهم"[٧].

---

(١) التحرير والتنوير: (١٣ / ١٩٦).

(٢) سورة يوسف من الآية: ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: (١٢ / ٢٥٠).

(٤) سورة الشمس الآية: ٨.

(٥) التحرير والتنوير: (٣٠ / ٣٦٩).

(٦) المرجع السابق: (١ / ١٢٠).

(٧) مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: ص ١٣٩، ١٤٠.

ب – ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [١]، حيث قال: " ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ :تركيب يجري مجرى المثل، وهو من مبتكرات القرآن"[٢].

في هذا الموضع يتجاوز – رحمه الله – حدّ الظنيَّة والاحتمال إلى الجزم بالابتكار القرآني، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه – رحمه الله – ذكر في المقدمة التي عقدها للابتكار أن من مبتكرات القرآن إيضاح الأمثال والإبداع في تركيبها " [٣].

ثالثًا : وتارة أخرى يؤكّد كلام غيره من العلماء عن المبتكرات، ثم يشير إلى أنه القول الفصل.

ومن النماذج الدالّة على هذا النمط : ما حكاه – رحمه الله – عن الإمام الزجاج [٤] من أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [٥] : "هو نظم لم يُسمع قبل القرآن ولم تعرفه العرب" [٦]، ثم رجّح هذا القول فقال: قلت – أي العلامة الطاهر ابن عاشور – وهو القول الفصل، فإني لم أره في شيء من كلامهم قبل القرآن " [٧].

---

(١) سورة المؤمنون من الآية: ١٠٠.

(٢) التحرير والتنوير: (١٨ / ١٢٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق: (١ / ١٢١).

(٤) الإمام الزجّاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد سنة (٢٤١هـ) ، من مصنفاته : " معاني القرآن " ، و" الاشتقاق " ، و" خلق الإنسان " ، و" الأمالي "، و" إعراب القرآن "، توفي سنة ٣١١هـ . ينظر: معجم الأدباء : (١ / ٥١، ٥٢) ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للإمام / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (١ / ٥٩)، ط: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، وبغية الوعاة : (١ / ٤١١ – ٤١٣).

(٥) سورة الأعراف من الآية: ١٤٩.

(٦) لم أقف على هذا القول في معاني القرآن للإمام الزجاج ، لكن مما تجدر الإشارة إليه أن الإمام الميداني في مجمع الأمثال (١ / ٣٣٠)، وكذا الإمام السمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٤٦٢) نسبا هذا القول إلى الإمام الزجاجي وليس إلى الإمام الزجاج .

(٧) التحرير والتنوير: (٩ / ١١٢).

بعد هذا العرض الموجز لطريقة العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في إيراد مصطلح " مبتكرات القرآن " أستطيع أن أقول :

إن طريقته – رحمه الله – في الصورة الأولى من صورتي الابتكار – وهي: ابتكار التميّز – تكمن في إيراد المبتكرات القرآنية من غير ظنية ولا احتمال ولا حسبان.

أما طريقته في الصورة الثانية – وهي : ابتكار السبق– فتكمن في إيراد المبتكرات القرآنية مستخدمًا كلمات تفيد الظن والاحتمال .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزّل البركات والرحمات، والصلاة والسلام على صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والمقام المحمود، الرسول الأعظم، والمعلم الأكرم: سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).

وبعـــد

فإنّ من فضل الله تعالى عليَّ ومنّه أن يسَّر لي إتمام هذا البحث، فأحمده سبحانه وأشكره، وأسأله المزيد من فضله وتوفيقه.

وقد توصّلت في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات، أهمها ما يلي:

أولاً: النتائـج:

١ – المبتكرات القرآنية وجه من وجوه الإبداع في استعمال اللغة وأساليبها، والتفنّن في النظم والتعبير على نحو لم يسبق إليه العرب مع ما بلغوه من براعة في اللغة؛ ومن ثمَّ كانت المبتكرات القرآنية ملمحًا جديدًا من ملامح الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

٢ – لم يكن مصطلح " مبتكرات القرآن " مستعملاً عند العلماء قبل العلامة الطاهر ابن عاشور – فهو أول من استخدم هذا المصطلح – ، إلا أنهم عبّروا عنه بمصطلحات أخرى تشبهه من حيث المضمون، من هذه المصطلحات: الإبداع، والاختراع، وسلامة الاختراع من الاتباع، والتشبيهات العُقُم، والاستغراب والطُّرفَة .

٣ – الفرق بين الاختراع والإبداع يكمن في أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يُسبَق إليها، أما الإبداع فهو الإتيان بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ. أما الفرق بين الاختراع والابتكار فيكمن في أن الاختراع سبق بُني على مثال، أما الابتكار فهو سبق بُني على غير مثال.

٤ – إيثار العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – مصطلح " مبتكرات القرآن " على غيره من المصطلحات المتطابقة معه في المفهوم يرجع إلى كون هذا المصطلح أثرًا من آثار الثقافة والبيئة اللتين وراءهما ما وراءهما من التأثير في اختيار الألفاظ، وطرائق التعبير، ومنهجية التأليف، ولعل لفظ الابتكار من المفردات التي كثر استعمالها في المغرب العربي.

٥ – مصطلح "مبتكرات القرآن" عند العلامة الطاهر – رحمه الله – يعني: ما سبق إليه القرآن من خصائص وأساليب وتراكيب ومعان وألفاظ لم تكن معهودة عند العرب قبل نزول القرآن.

٦ – المبتكرات القرآنية عند العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – كائنة في المفردات، والأساليب، والتراكيب، والصور البيانية، والمحسنات البديعية.

٧ – للابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – صورتان:

الأولى: ما اختص به أسلوب القرآن من مميزات تميّز بها نظمه عن كلام العرب، سواء أكان هذا التميز سبقًا جديدًا، أم كان تصرّفًا بديعًا، فمن الأول: مجيء نظم القرآن على طريقة مبتكرة مخالفة لأسلوبي الشعر والخطابة، وأسلوب التقسيم والتسوير، ومن الثاني: أسلوب الإيجاز، وأسلوب الإطناب، والتصرف في حكاية الأقوال المحكية، ووضوح الأمثال وإبداع تركيبها، وطريقة العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في هذه الصورة تكمن في إيراد المبتكرات القرآنية من غير ظنية ولا احتمال ولا حسبان، وهذه الصورة يمكن أن نطلق عليها اسم " مبتكرات التميّز ".

الثانية: ما سبق إليه القرآن من ألفاظ ومعان وتراكيب وأساليب لم تكن معهودة عند العرب، وطريقة العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – في هذه الصورة تكمن في إيراده المبتكرات القرآنية مستخدمًا كلمات تفيد الظن والاحتمال، من

هذه الكلمات: " أحسب "، و" أظن "، و" يحتمل "، و" لعل " وغير ذلك، وهذه الصورة يمكن أن نطلق عليها اسم " مبتكرات السبق ".

٨ – وجوه الإعجاز القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – تتمثل في أربع جهات:

الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة.

الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الثالثة: ما أُودع فيه من المعاني الحِكَميّة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلُغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة.

الرابعة: ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيَّبات مما دلَّ على أنّه منزل من علاّم الغيوب.

٩ – أدرج العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – مبتكرات التميّز ضمن الجهة الثانية من جهات الإعجاز وهي: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في كلام العرب، وقد نصّ – رحمه الله – على أنها مبتكرات تميّز بها نظم القرآن عن كلام العرب، أما مبتكرات السَّبق فكانت مطروحة أمام العرب، ولكن القرآن سبق إليها بحسب استقراء العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – لكلام العرب، وقد وردت هذه المبتكرات منثورة في ثنايا تفسيره – " التحرير والتنوير " – متعلقة بالألفاظ، والأساليب، والتراكيب، والصور البيانية، والمحسنات البديعية.

١٠ – الابتكار القرآني لا يقدح في عربية القرآن بحال من الأحوال، فالقرآن جاء على طرائق العرب وأساليبهم إلا أنه فاق العربية في مبتكراته اللفظية، والأسلوبية، والتركيبية، والبيانية، والبديعية.

١١ – المعيار الأساس في تحقيق المبتكر القرآني هو فقدان الوجود في كلام العرب قبل القرآن.

١٢ – اتخذ العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – معياري نسبية عدم الوجود قبل القرآن، وانتشار المبتكر بعد القرآن كأساس في حكمه على مبتكرات السبق، أما مبتكرات التميز فجعل معيار تميز المبتكر على كلام العرب هو الأساس في حكمه عليها.

١٣ – استخدم العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – المنهج الاستقرائي الناقص في حكمه على المبتكرات القرآنية؛ لتعذر التام؛ إذ إن طبيعة الحكم بالابتكار في البيان القرآني تقتضي الإلمام بالتراث الشعري والنثري قبل القرآن وحال نزوله، وهذا أمر متعذر، وغير متوفر لأحد؛ ومن ثَمَّ التزم – رحمه الله – في حكمه على المبتكرات القرآنية – في الغالب – كلمات وعبارات تفيد الظن والحسبان، والاحتمال والرجحان.

ثانيًا: التوصيات:

١ – مبتكرات القرآن عند العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – لا تزال في حاجة إلى العديد والعديد من الدراسات والأبحاث لإبراز ما فيها من وجوه الإعجاز؛ ومن ثَمَّ أوصي الباحثين بتناول هذه المبتكرات القرآنية بالدراسة والبيان على نطاق أوسع، بأن يقوم بعض الباحثين بدراسة المبتكرات القرآنية المتعلقة بالألفاظ والتراكيب، وفريق آخر يتناول المبتكرات القرآنية الأسلوبية، وفريق ثالث يتناول المبتكرات القرآنية المتعلقة بالصور البيانية والمحسنات البديعية، وهكذا.

٢ – كما أوصي بتوسيع دائرة البحث في " المبتكرات القرآنية "؛ للوقوف على مبتكرات أخرى غير التي ذكرها العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله –.

٣ – كما أوصي الباحثين في مجال اللغة العربية وآدابها بدراسة " المبتكرات القرآنية " من زاوية فقه اللغة وتاريخها، أو من زاوية أدبية موضوعية ؛ فيترتب على ذلك الوقوف على مدى ما أحدثه القرآن من ألفاظ وتراكيب وأساليب وصيغ لم تَرِدْ عند العرب، ولا يخفى ما في هذه الدراسة من الفوائد المتعددة.

وفي الختام: لا يسعني أن أقول إلا كما قال القائل[1]:

ولقد وفيْتُ بما قد رُمْت منتهيًا ... والحمد لله إذ ما رمته كملا
ثم الصلاة وتسليم يقارنها على ... الرسول الكريم الخاتم الرُّسُلا
وأسأل الله من أثواب رحمته ... سترًا جميلاً على الزلّات مشتملا
وأن ييسّر لي سعيًا أكون به ... مستبشرًا جذلاً لا باسرًا وجِلا

والله الهادي إلى السداد، وهو الموفق إلى كمال المراد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) لم أقف على اسمه.

أهـــم المصـــادر والمراجـــع

أولاً: القرآن الكريم – جلّ من أنزله – .

ثانيًا : كتب التفسير وعلوم القرآن :

١ – إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: للعلامة الشيخ / أحمد بن محمد البنا، تحقيق: أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢ – الإتقان في علوم القرآن: للحافظ / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

٣ – إعجاز القرآن: للإمام / أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة: ١٩٩٧م.

٤ – البرهان في علوم القرآن: للإمام / محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

٥ – التحرير والتنوير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للإمام / محمد الطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس – ط سنة: ١٩٨٤م.

٦ – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للأئمة الرمّاني، والخطّابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود/ محمد زغلول، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

٧ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للإمام شهاب الدين أحمد بن يوسف

المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم – دمشق – بدون تاريخ.

٨ – السبعة في القراءات: للإمام / أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: د / شوقي ضيف، ط: دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.

٩ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للعلامة / أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د / عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

١٠ – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: للإمام / أبي محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: د / محي الدين رمضان، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط سنة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

١١ – مباحث في إعجاز القرآن: للدكتور/ مصطفى مسلم، ط: دار القلم – دمشق – الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٢ – المفردات في غريب القرآن: للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ" الراغب الأصفهاني "، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

١٣ – مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

١٤ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين: للإمام العلامة / شمس الدين ابن الجزري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٥ – النشر في القراءات العشر: للإمام / شمس الدين ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، ط: المطبعة التجارية الكبرى – القاهرة – بدون تاريخ.

ثالثًا: كتب اللغة والمعاجم اللغوية:

١٦ – أصول الإنشاء والخطابة: للعلامة / محمد الطاهر ابن عاشور، ط: مطبعة النهضة – تونس – الطبعة الأولى: ١٣٣٩هـ.

١٧ – الإعجاز والإيجاز: للإمام / أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة – بدون تاريخ.

١٨ – أنوار الربيع في أنواع البديع: للإمام / ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط: مطبعة النعمان – النجف الأشرف – الطبعة الأولى: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

١٩ – الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): للإمام / جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ.

٢٠ – البلاغة العربية " أسسها وعلومها وفنونها ": للأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط: دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢١ – البيان والتبيين: للعلامة / عمرو بن بحر بن محبوب أبي عثمان الشهير بالجاحظ، ط: دار ومكتبة الهلال – بيروت – ط سنة: ١٤٢٣هـ.

٢٢ – تاج العروس من جواهر القاموس: للإمام / محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط: مطبعة حكومة الكويت، ط سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٣ – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: للإمام / ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د / حفني محمد شرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – بدون تاريخ.

٢٤ – التضمين في العربية: للدكتور / أحمد حسن حامد، ط: دار الشروق القاهرة – الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٩م.

٢٥ – جمهرة الأمثال: للإمام / أبي هلال العسكري، ط: دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.

٢٦ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للأستاذ / السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د / يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – بدون تاريخ.

٢٧ – حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: للإمام / محمد بن علي الصبّان الشافعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٨ – الحيوان: للإمام / عمرو بن بحر بن محبوب أبي عثمان الشهير بالجاحظ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٩ – شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة: للعلامة/ محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: ياسر المطيري، ط: مكتبة دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ.

٣٠ – الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: للإمام / يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٣١ – العقد الفريد: للإمام / أبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٣٢ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه: للإمام / أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل – بيروت – الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣٣ – لسان العرب: للإمام / محمد بن مكرّم ابن منظور الإفريقي المصري، ط: دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

٣٤ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: للعلامة / أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: د / أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – بدون تاريخ.

٣٥ – مجمع الأمثال: للإمام / أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، ط: دار المعرفة – بيروت – بدون تاريخ.

٣٦ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها: للإمام / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٣٧ – معجم مقاييس اللغة: للإمام / أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: د / عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر – دمشق – ط سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٨ – مفتاح العلوم: للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: د/ نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣٩ – موجز البلاغة: للعلامة / محمد الطاهر ابن عاشور، ط: المكتبة العلمية – تونس –

الطبعة الأولى – بدون تاريخ.

٤٠ – نقد الشعر: للإمام / قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، ط: مطبعة الجوائب – قسطنطينية – الطبعة الأولى: ١٣٠٢هـ.

٤١ – وحي القلم: للأستاذ / مصطفى صادق الرافعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

رابعًا: كتب التراجم والرجال والطبقات:

٤٢ – الإصابة في تمييز الصحابة: للعلامة الحافظ / أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٤٣ – الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة السادسة: ١٩٨٤م.

٤٤ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للعلامة الحافظ / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – بدون تاريخ.

٤٥ – البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للإمام / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – سوريا – الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٤٦ – تاريخ بغداد: للحافظ / أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: دكتور / بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – بدون تاريخ.

٤٧ – تراجم المؤلفين التونسيين: للأستاذ / محمد محفوظ، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٤٨ – سير أعلام النبلاء: للإمام / شمس الدين أبي عبد الله الذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٤٩ – شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه " مقاصد الشريعة الإسلامية ": للشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر – ط سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٥٠ – طبقات فحول الشعراء: للإمام / أبي عبد الله محمد بن سلاَّم الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط: دار المدني – جدة – بدون تاريخ.

٥١ – طبقات المفسرين: للإمام / أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٥٢ – طبقات المفسرين: للإمام / محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

٥٣ – غاية النهاية في طبقات القراء: للإمام / شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة – بدون تاريخ.

٥٤ – معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – : للعلامة / أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: د/ إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٥ – معجم الشعراء: للإمام / أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور/ ف. كرنكو، ط: مكتبة المقدسي ودار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٥٦ – معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: للأستاذ/عادل نويهض، ط: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٥٧ – معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للإمام / شمس الدين أبي عبد الله الذهبي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م .

٥٨ – من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (حياته وآثاره) : للدكتور/ بلقاسم الغالي، ط: دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٥٩ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : للإمام / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تَغْري برْدي الأتابْكي، تعليق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

خامسًا: الرسائل العلمية :

٦٠ – مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية: للدكتور / هاني بن عبيد الله بن عناية الله الصاعدي ، رسالة ماجستير في البلاغة في كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – مكة المكرمة: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م .

سادسًا: المجلات والدوريات العلمية :

٦١ – مبتكرات القرآن عند ابن عاشور دراسة نقدية: للدكتور / عماد طه أحمد الراعوش – بحث منشور في مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية – المملكة العربية السعودية – المجلد السادس، العدد الثاني عشر لعام ٢٠١٦م .

فهرس الموضـوعات

المقدمـــــة ٢

التمهيـــــد ٧

أولاً: مدلول المصطلح، وبيان شروطه : ٧

ثانيًا: التعريف بالعلامة محمد الطاهر ابن عاشور وبتفسيره بإيجاز ١١

المبحث الأول : المدلول اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الابتكار ٢٢

المبحث الثاني : العلاقة بين مصطلح الابتكار وبين بعض المصطلحات التي وردت بمفهومه .. ٢٤

المبحث الثالث : مفهوم مصطلح مبتكرات القرآن عند العلامة الطاهر ابن عاشور ٣٠

المبحث الرابع : وجوه الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور ٣٥

المبحث الخامس : معايير الابتكار القرآني عند العلامة الطاهر ابن عاشور ٥٦

المبحث السادس: طريقة العلامة الطاهر ابن عاشور في إيراد مصطلح «مبتكرات القرآن» . ٦٤

خاتمة البحث ٦٩

أهم المصادر والمراجع ٧٤